بحث رقم (٣)

ديوان يا إلهى

للشاعر محمد التهامى

فى ضوء نظرية الأدب الإسلامى

(دراسة موضوعية فنية)

دكتور

حسن أبو المجد محمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فللكلمة الهادفة أهميتها فى مجتمعاتنا المعاصرة ، هذه المجتمعات التى تجاوزت كل الحدود ، حتى بلغ المتجاوز فى بعضها حد الوحشية - بلا مبالغة - وما نقلته ، وما تنقله وسائل الإعلام يكشف بوضوح عن هذه الوحشية ، فالصراع فى كل مكان على سطح المعمورة ، والدماء تراق فى أغلب الأحيان بلا أسباب ، والناس كل الناس مطالبون بإعمار الأرض ، وعدم الفساد فيها : ﴿ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ [1] .

من هنا كان للكلمة الشجاعة النافعة المصلحة أثرها البالغ فى هذه المجتمعات ، فهى لا تقل أهمية عن لقمة العيش بالنسبة للإنسان ، فليس بالتقدم الحضارى ، والثورة العلمية الهائلة فى مجال الطيران ، والصواريخ العابرة للقارات ، أو اختراق الفضاء ، أو ثورة النظم والمعلومات والاتصالات ليس بكل هذا تتقدم الشعوب ، وترتقى

---

(١) سورة الأعراف من الآية رقم ٥٦ .

الأمم ، وتسمو الإنسانية ، وإنما التقدم الحضارى حقا هو ما يرتقى بالإنسان ، ويحترم إنسانيته ويحفظ له حق الحياة الكريمة مهما كانت عقيدته ، وهذا كله لا يتحقق فى العالم أجمع إلا فى ظلال العقيدة الإسلامية التى ترعى الإنسانية ، وتسمو بها فوق كل الكون ، فقد كان التقدم الحضارى الذى لا ترعاه العقيدة الصحيحة سببًا فى قتل اثنين وسبعين ألفا فى (هوروشيما) فى لحظة واحدة ، ولا تزال آثاره السيئة إلى الآن فى انتشار خطير الأمراض فى تلك البقعة وما يجاورها من أرض الله - سبحانه - .

من أجل هذا كانت الكلمة فى عصرنا الحاضر ضرورة حياة ، وأعنى بها الكلمة النافعة المؤثرة التى تنطلق من منهج الإسلام القويم .

وهذا البحث (ديوان يا إلهى فى ضوء نظرية الأدب الإسلامى) يدور حول هذه الكلمة التى أعنيها ، فيقف عند الرؤية الإسلامية للشاعر فى هذا الديوان وفق المحاور الموضوعية التى تناولها ، كما يقف على الرؤية الفنية فيه وفق المحاور الفنية لهذا الشعر وكل ذلك فى ضوء أصالة الأدب الإسلامى وشموليته .

وقد جاء هذا البحث بعد هذه المقدمة فى مدخل ، وثلاثة فصول . أما المدخل فكان عن ديوان (يا إلهى) ومكانته فى الأدب الإسلامى ، وأما التمهيد : فتناولت فيه مفهوم الأدب الإسلامى ، وخصائصه ، وأهدافه .

ثم **الفصل الأول** وهو : (المحاور الموضوعية فى الديوان) والتى تمثلت فى خمسة محاور :

المحور الأول : التضرع والشكوى .

المحور الثانى : شريعة الإسلام وما تميزت به من عدل ورحمة وتكريم للإنسان .

المحور الثالث : حيرة المسلم المعاصر فى خضم الحياة المعاصرة وضياع الكثير من القيم .

المحور الرابع : الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله فى الكون .

المحور الخامس : هموم أمتنا فى هذا العصر .

ثم **الفصل الثانى** وهو : (المحاور الفنية فى الديوان) ووقفت فيه على ثلاثة محاور :

المحور الأول : الألفاظ والتراكيب .

المحور الثانى : التصوير الفنى .

المحور الثالث : الموسيقا الشعرية .

ثم الخاتمة وفيها ما انتهت إليه هذه الدراسة .

والله تعالى ولى التوفيق

تمهيد

المحور الأول

التعريف بالديوان

يعد ديوان (يا إلهى) [1] لبنة فى صرح الأدب الإسلامى الشامخ الذى استوى بنيانه ، وقويت أركانه ، فى عصرنا الحاضر - على الرغم من تلك الصيحات العالية التى ، التى يتبناها أعداء هذا الأدب ، فى محاولات فاشلة منهم ليتوقف هذا البناء ، متمسكين بحجج واهية - ولا مجال هنا لسرد تلك الحجج وتفنيدها ، فقد تصدى للرد عليها كبار الباحثين فى الأدب الإسلامى .

وهذا الديوان يمثل مرحلة متطورة فى فن الشاعر ، فقد نضجت تجاربه بعد أن تشربت روحه قضايا أمته ، فانطلق يعبر عنها فى صدق وإخلاص .

والحديث عن هذا الديوان فى إطار نظرية الأدب الإسلامى يتطلب - فى البداية - إلقاء الضوء على الأدب الإسلامى ، مفهومه وخصائصه ، وأهدافه ؛ حتى يمكننا الوقوف على

---

(١) ديوان شعرى للشاعر الإسلامى الكبير الأستاذ / محمد التهامى - الحائز على جائزة الدولة التقديرية بمصر ، وقد طبع هذا الديوان بدار البشير بالأردن عام ١٩٩٤ م ، وهذه الطبعة التى اعتمدت عليها فى هذا البحث .

مدى وضوح رؤية الشاعر الإسلامية فى هذا الديوان ، ومدى وعى الشاعر برسالته فى الحياة بوصفه أديبًا مسلمًا .

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تكشف لنا عن خصائص الأدب الإسلامى ، وتؤكد لنا أهميته فى عصرنا ، ولذلك فسوف تنطلق الدراسة فى إطارين : الإطار الأول يتمثل فى المحاور الموضوعية التى تدور حولها قصائد الديوان ، والإطار الثانى يتمثل فى المحاور الفنية التى نتناول من خلالها شعر الديوان .

وقبل أن ندخل فى هذين الإطارين نعرض - بإيجاز - لمفهوم الأدب الإسلامى ، وخصائصه وأهدافه .

المحور الثانى

التعريف بالشاعر

هو محمد سيد أحمد التهامى ، ولد بالمنوفية سنة ١٩٢٠ م ، ودرس القانون والاقتصاد واشتغل بالمحاماة والصحافة والإعلام ، عمل مديرًا لتحرير جريدة الجمهورية ، فمديرًا لمكتب الجامعة العربية بإسبانيا ، فمستشارًا للجامعة العربية ، ثم عضوًا بالمجالس القومية المتخصصة ، وعضوًا بمجلس إدارة اتحاد الكتاب ، وهو سكرتير عام جمعية الأدباء ، وعضو مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين ، وعضو رابطة الأدب الإسلامى .

وقد نظم التهامى الشعر فى سن مبكرة وألقاه فى العديد من المحافل الأدبية والإسلامية ، وقد بدت فى شعره القيم الإسلامية السامية ولحن العروبة الأصيل ، وقد كان من أهل الحفاظ على التقاليد الفنية للشعر العربى فى قوالبه وأشكاله .

صدر له ثمانية دواوين شعرية : أغنيات لعشاق الوطن - أشواق عربية - أنا مسلم - يا إلهى - دماء العروبة على جدران الكويت - رحيق العمر - أغانى العاشقين - قصائد مختارة .

ومن مؤلفاته : جامعة الشعوب العربية والإسلامية - عودة الإمام النورس .

فاز التهامى بعدد من الجوائز منها : جائزة شعر معركة بورسعيد ١٩٥٦ م ، وجائزة الشعر القومى ١٩٦٢ م ، وجائزة الدولة التقديرية ١٩٩١ م ، وجائزة الملك الحسن الثانى (المسجد الكبير) ، وجائزة ابن تركى من المدينة المنورة ، ووسام القائد الأعظم من حكومة باكستان [1] .

---

(١) راجع ترجمته فى : كوكبة من شعراء العصر - للدكتور / بدوى طبانة ص ١٥٥ - ١٥٧ - ط الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان) - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م ، والأعمال الكاملة للشاعر محمد التهامى - الصفحة الأخيرة - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ م ، ومعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ٤ / ١١٨٨ - جمع وترتيب هيئة المعجم - دون إشارة إلى تاريخ الطبع

المحور الثالث

مفهوم الأدب الإسلامى وخصائصه

قبل أن ألج فى عالم الشاعر الشعرى فى هذا الديوان لأحدد ملامح الرؤية الإسلامية فيه ينبغى أن أشير إلى ما تميز به الأدب الإسلامى من الشمولية ، وسعة الآفاق ، حتى تتضح المحاور الموضوعية لما اشتمل عليه الديوان وفق نظرية الأدب الإسلامى ، ومن خلال رؤية واضحة لهذا الأدب مما تعارف عليه النقاد فى مفهوم الأدب الإسلامى .

ومعلوم أن الأدب الإسلامى هو هذا الأدب الذى يستقى موضوعاته من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية ، وما من شك فى أن لهذا المنهج " أثره الواسع فى الأدب صياغة ، وموضوعًا ، وشكلاً ، وأسلوبًا " [1] .

ولقد اختلف مفهوم الأدب الإسلامى لدى الدارسين ووضعت له عدة تعريفات لعل أكثرها وضوحًا هو تعريف الدكتور / عبد الرحمن رأفت الباشا : " بأنه التعبير الفنى الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرًا ينبع من التصور

---

(١) الأدب الإسلامى إنسانيته وعالميته د / عدنان على رضا النحوى ص ٧٠ - دار النحوى للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - ط الثانية .

الإسلامى للخالق - عز وجل - ومخلوقاته ، ولا يجافى القيم الإسلامية " [1]

وهذا المفهوم الذى ذكره الدكتور / عبد الرحمن الباشا يوضح خصائص الأدب الإسلامى ويحدد معالمه ، كما نتبين ذلك من خلال شرحه لهذا المفهوم حيث يقول : " والمراد بفنية التعبير جماله وروعته ، ولا غرو فإشراق العبارة وجمالها شرطان أساسان لازمان لكل أدب ، فكيف إذا كان إسلاميًا نابعًا من كتاب الله متأسيا بحديث رسول الله ؟ .

ثم يضيف موضحًا أخص خصائص هذا الأدب ، والتى تتمثل فى كونه أدبًا هادفًا فيقول :موضوع هذا الأدب رحب الآفاق متعدد الجوانب ، فهو يشمل " ثم إننا اشترطنا فى الأدب أن يكون هادفًا لأن أفعال المسلم وأقواله مصونة عن اللغو والعبث ، بعيدة عما لا طائل تحته ، وعلى هذا فالأدب الإسلامى لا يكتفى بجمال التعبير وإبداع التصوير وإنما يشترط فيه أن يكون ممتعًا نافعًا فى وقت معًا " .

ثم يشير إلى شموليته ، وسعة آفاقه ، وتنوع موضوعاته وأجناسه من خلال التعريف الذى ذكره آنفًا فيقول : " ثم إن

---

(١) نحو مذهب إسلامى فى الأدب والنقد - د / عبد الرحمن رأفت الباشا ص ٩٢ - ط ١٩٨٥ م - الرياض - السعودية .

موضوع هذا الأدب رحب الآفاق متعدد الجوانب ، فهو يشمل الإنسان بعواطفه وأشواقه ، وآماله وآلامه ، وحسناته وسيئاته ، ودنياه وآخرته ، كما يشمل الحياة بكل ما فيها من سعادة وشقاء ، ومقومات وقيم ، وهو يشتمل على الكون بره وبحره ، وأرضه وسمائه ، كما يشتمل على الطبيعة بطيرها السابح ، وحيوانها السارح ، وربيعها الجميل ، وشتائها العاصف وما إلى ذلك ، وعلى هذا فالأدب الإسلامى ليس مقصورًا على الموضوعات الدينية ، وإنما هو أعم من ذلك وأشمل " [1] .

وتأسيسًا على ما ذكره الدكتور / عبد الرحمن الباشا يمكن القول بأن كل ما فى الكون والحياة والنفس البشرية صالح لأن يكون موضوعًا للأدب الإسلامى شريطة أن يعالج الأديب ذلك فى إطار النظرة الإسلامية لهذه الأشياء ، هذه النظرية التى لا تلتقى بحال مع أى اتجاه أو تيار من الاتجاهات أو التيارات المعاصرة كالرأسمالية ، أو الاشتراكية ، أو الوجودية أو غيرها ، هذه الاتجاهات والتيارات التى تفسر الأشياء من وجهة نظر أصحابها وفكرهم ، وهذه النظرة وتلك الأفكار نتجت عنها آداب فاسدة تائهة ، موغلة فى العبث والفوضى ، غارقة فى ظلمات الإلحاد والتيه .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٢ ، ٩٣ .

واستمد عبد الرحمن الباشا تعريفه من تعريف الأستاذ / محمد قطب الذى يقول فيه : " إنه التعبير الجميل عن الكون والحياة والناس من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والناس " [1] .

لكن الدكتور / على صبح انتهى إلى تعريف للأدب الإسلامى استكمل فيه جوانب المفهوم واستقصى عناصره المختلفة كما سيتضح ذلك من خلال التعليق عليه وشرحه فقال موضحًا مفهوم الأدب الإسلامى هو : " التصوير الفنى الجميل للكائنات حية كانت أو جامدة التى سخرها الله تعالى للإنسان فى الحياة والكون ، يستمد الأديب قيمه الخلقية والفنية من حضارة الإسلام المتجددة قديمًا وحديثًا وفى المستقبل تصويرًا حيًا قويًا نابضًا بالصدق الفنى ، يثير العواطف والانفعالات ويحرك المشاعر والأحاسيس ، ويثرى الوجدان والخواطر سواء باللغة العربية أو بلغات الشعوب الإسلامية غير العربية " [2] .

وعلى هذا فليس الأدب علمًا ولا تأريخا ولا فلسفة لكنه فن جميل وتصوير أدبى مثير ، له أهداف شريفة تغرس فى النفس قيم الحق

---

(١) منهج الفن الإسلامى - محمد قطب ص ٦ - الطبعة السادسة .

(٢) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق - د / على صبح ٣ / ٣١٠ - ط ١٩٩٨ م .

والخير والجمال يشمل علاقة الأديب بالإنسان والكون والحياة من خلال التصوير الإسلامى لهذه المصادر المتنوعة ليصور إبداع الله تعالى فى مخلوقاته ، فهو تصوير للحياة بما فيها من مصادر الحق والباطل ومظاهر الخير والشر ، ومراتب الحب والجمال والكره والقبح بالكلمة والصورة الأدبية التى تحث على الحق والخير والحب والجمال وتنفر من الباطل والشر والكره والقبح ، لتنافيها مع فطرة الإنسان وقيمه النبيلة [١] .

لذلك ينفرد مفهوم الأدب الإسلامى عند الدكتور / على يشتمل المفهوم عنده على حيوية التصوير الفنى وقوته مع إيثار التصوير لا التعبير ، والتصوير أقوى فى الإبداع الأدبى وأشمل لروافد الأدب الإسلامى ، كما نص على أثر التصوير فى عواطف الآخرين مع التصريح بمصطلح " الصدق الفنى ، الذى يخرج أدب غير المسلم الذى يحمل سمات الأدب الإسلامى خلقيًا وفنيًا ، فلا يكون أدبًا إسلاميًا ، وإن كان مقبولاً غير مرفوض ، كما اشتمل المفهوم عنده على حقل الأدب الإسلامى الذى يشمل أدب اللغة العربية ، وآداب الشعوب الإسلامية غير العربية مثل الأدب الإسلامى فى الهند

---

(١) المرجع السابق ١ / ٣ - ط عام ١٩٨٧ م .

والباكستان وإندونيسيا وأدب المسلمين باللغات الفرنسية والإنجليزية وغيرها " [١] .

إنها رؤى تختلف تمامًا عن رؤيتنا للأشياء فى ضوء عقيدتنا ، فرؤيتنا - نحن المسلمين - تتمثل فى أن الكون كله مسخر لخدمة الإنسان ، وأن الإنسان إنما خلق لعبادة الله ، إن الأدب الإسلامى الذى نعنيه أدب " لحمته وسداه العاطفة الدينية ، وتتجلى فيه المعانى القرآنية ، كما يتجلى فيه تصور الكون والحياة والناس من خلال قيم القرآن ومثله [٢] ، وانطلاقًا من هذه القاعدة فإن الأدب الإسلامى يتناول شتى الموضوعات الفنية تناولاً متصلاً بالعقيدة ، مرتبطًا بالإيمان إنه يتناول موضوع الحب ليعلم الأمة أسمى معانيه ، وليوثق عروة الإيمان ، وعروة الأخوة فى الله ، وعروة الرحم والجوار ، وسائر العلاقات التى أقامها الإسلام لصلاح الإنسان ، كما يتناول موضوعات الوصف والطبيعة ، والأحداث ، والتاريخ ،

---

(١) المرجع السابق ٣ / ٣١٢ .

(٢) الأدب الإسلامى قضية وبناء - د / سعد أبو الرضا ص ٨ - عالم المعرفة - جدة ١٩٨٣ م .

والفكرة ، وغير ذلك ما دام الموضوع تدفعه الفطرة والموهبة [١] .

كما أن الأدب الإسلامى " كلمة حق ، ودعوة صدق ... إنه خفقة تسبيح وخشوع ، ورعشة دعاء وابتهال ، وهزة موعظة ورجاء ، ونظرة فى آفاق الخير والجمال ، ووثبة فى ميادين القتال ، وهمة سياسية وفكر ، وفرحة بشريات ونصر ، إنه رعشة الفرح ودمعة الحزن ، ولهفة الشوق ، ورقة الحنان ، وقوة الجهاد ، وثبات اليقين ، ومتعة الطهارة ، وزينة العزة " [٢] .

ومما سبق نتبين سعة آفاق الأدب الإسلامى ، وتتضح لنا شموليته ، فهو أدب لا تحده حدود موضوعات معينة لا يجوز للأديب المسلم أن يتجاوزها ، وليس صحيحًا أن الإسلام يحول بين الأديب والتعبير عن بعض تجاربه فهذا القول قد ثبت عدم صحته قديمًا منذ

---

(١) الأدب الإسلامى إنسانيته وعالميته - د / عدنان على رضا النحوى ص ١٠٥ " بتصرف " - دار النحوى للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - الطبعة الثانية ١٩٨٧ م .

(٢) المرجع السابق ص ٨١ .

عصر صدر الإسلام وما تردد بين النقاد من ضعف شعر حسان بن ثابت الإسلامى [١] .

إن تجربة الأديب واسعة رحبة ، تستمد رحابتها من العقيدة الإسلامية ، الغنية بالينابيع الفياضة عن ألوان التغريب الفنى والفكرى " لأنها ترتبط بعالم الواقع كما ترتبط بعالم الغيبيات ، وتلبى حاجة الإنسان الفطرية إلى كل شىء ، إلى البحث عن الحقيقة ، وإلى الصراع مع عوامل الهدم ، وإلى النضال الدائم للتغيير نحو الأفضل ، وإلى معطيات الأمن والاستقرار ، وإلى الركون إلى قوة قاهرة ترعى ، وإلى عدالة مطلقة تعيد إلى النفس المضطهدة ما اغتصب منها وإلى فردوس يحقق الأمن والاستقرار للذات التى فقدت الأمن والاستقرار [٢] .

ومعنى هذا أن الأدب الإسلامى يتميز بخصائص لا توجد فى غيره ، فعالم الغيبيات لا يطرقه غير الأديب المسلم ، فهو وحده القادر أن يغوص فى أبواب الأدب الموصدة أمام الآخرين ، وبإمكانه

---

(١) راجع هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب : أثر الإسلام فى الشعر فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين - د / السيد عبد القادر عويضة ص ١٨ : ٢٦ - مطبعة الأمانة - الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

(٢) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامى - د / عبد الباسط بدر ص ٣٩ - دار المنار للنشر - ط الأولى ١٩٨٥ م .

أن يلج عديدًا من الأبواب يدلف منها إلى التائهين والضائعين والممزقين فى هذا العصر .. لأنه ينظر إلى الإنسان والكون والحياة من خلال تصور إسلامى صحيح ، وكل القضايا ، النفسية ، والعاطفية والاجتماعية وغيرها أمانة فى عنقه ، يحاول أن يبرزها ، ويحلل فيساهم فى كشف غموضها بتركيز الأضواء عليها وصراعات العصر على النطاق المحلى والعالمى مادة خصبة لقلمه [1] .

وذلك لأن الإسلام لم يعزل أدباءه فى أبراج عاجية ليعيشوا بعيدًا عن مجتمعاتهم ، بل إن الأديب المسلم تحتم عليه عقيدته أن يؤدى وظيفته فى المجتمع ، ويعرف - تمامًا - رسالته التى ينبغى له توصيلها ، هذه الرسالة التى لا يمكن أن يقوم بها على الوجه الصحيح " إلا إذا عايش عصره ، واستوعب آلامه وآماله ، وشخص أدواءه ، وضبط مقاييسه التى ينظر بها للأحداث .. إنه مع الناس فى الميدان ، والحقل ، والمصنع ، والأسواق ، ودور العلم ، إنه لبنة فى البناء الاجتماعى الكبير يعانى ويكابد ويمارس التجارب الحية النابضة بالصدق والعطاء كما أن الأديب المسلم مطالب بأن يكون امتدادًا لفجر النهضة الإسلامية ، ومعاركها الإنسانية النبيلة ، فما تبدلت

---

(١) آفاق الأدب الإسلامى - د / نجيب الكيلانى ص ٤٤ - مؤسسة الرسالة بيروت - ط الأولى ١٩٨٥ م .

القيم العريقة ، ولا المبادئ الربانية الخالدة ، ولكن تبدلت الأزمنة والأمكنة والممثلون .. واحتفاؤنا بالتاريخ وإحياؤه وبث الحركة والحيوية فيه أمر يجب أن يوليه الأدب الإسلامى الرعاية والاهتمام " [1] .

وعلى ضوء ما سبق بيانه يتضح لنا أن موضوعات الأدب الإسلامى لا حصر لها ، وأن مجالاته التى يمكن للأديب المسلم الولوج فيها متعددة ، فالأدب الإسلامى " متسع اتساع الكون ، ممتد امتداد الحياة الدنيا والآخرة ، إنه يبتدئ من ورقة الشجر اليابسة ، إلى كواكب السماء إلى صواريخ الفضاء ، إلى جنة عرضها السموات والأرض [2] ، ومن هنا كانت حاجتنا ضرورية فى مجتمعاتنا المعاصرة إلى أدب إسلامى يمتاز عن غيره من آداب الاتجاهات والمذاهب الأخرى بهذه الخصائص وتلك الأهداف .

---

(١) رحلتى مع الأدب الإسلامى - د / نجيب الكيلانى ص ٦٣ - مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان - ط الأولى ١٩٨٥ م .

(٢) الأدب الإسلامى إنسانيته وعالميته ٧٠ .

أهداف الأدب الإسلامى

الأدب الإسلامى فى واقعنا المعاصر هو الوسيلة المثلى ، والأداة الصادقة للتعبير عن واقع الأمة الإسلامية فى ظل هذه الصراعات ، خاصة وأن الأدب الإسلامى – بتلك الضوابط الثابتة من حيث الأصالة والصدق ووضوح الهدف والغاية – هو هذا الجانب من الأدب الحى الذى تنمحى منه كل ألوان الزيف والخداع لتبدو حقيقة أصحابه وشخصياتهم كما هى ، لأن " المؤمن الحق لا ينفصل عن ذاته عند التعبير عن فكره وفنه ، وآثاره الأدبية ، ومعتقداته ، وأحلامه كلها ترتبط بتلك الذات القوية المتماسكة التى تربت وتشكلت ونمت فى مدرسة النبوة ، وتشربت آدابها ومقاييسها الربانية العادلة " [1] .

ولا يخفى أن المضمون الفكرى للأدب الإسلامى ، شعرًا كان أو نثرًا ، يهدف إلى تكوين الفرد المسلم ، ثم المجتمع المسلم ، وتمثيل أمراض الأمة الأخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، ويثير فى النفوس الرغبة للعمل الجاد ، ويجعل من ذلك العمل قيمة لا تقل عن العبادة .. ويدعو إلى أن يمارس المسلم فى الواقع فعل الخيرات ، كما يدعو إلى التمسك بالإيثار ، والحب ،

(١) آفاق الأدب الإسلامى ص ٣٩ .

والعدل ، ومحاربة الرذائل ، والمفاسد ، والمظالم ، وصور الاستغلال ، والتحرر ، والإباحية ، ويربط حياة الفرد وحركة الجماعة بآداب ، ونظم ، وشرائع محكمة [1] ، فالأدب الإسلامى إذن يحقق فى القارئ غايات سامية لطالما سعى إليها الأديب المسلم إيمانًا منه برسالة الأدب فى المجتمع .

هذه الغايات تكاد تتلخص فى غايتى الإمتاع والإفادة . وهاتان الغايتان تتحققان فى الأدب الإسلامى حتى وإن كان موضوعه مأساة من المآسى التى يتعرض لها مجتمع من المجتمعات حيث " إن تجسيد تلك المأساة على أسس ومقاييس إلهية وموضوعية هو الصدق ، وإن شفاء الأرواح والقلوب والعقول هدف أسمى ، وبداية صحيحة ، وإن إزالة الأنقاض والخرائب تمهيدًا لبناء صحى شامخ هو الحل " [2] .

فالأديب المسلم يمتاح تجاربه حتى من المآسى ؛ بغية التغيير ، وسعيًا إلى الإصلاح و " إن الملاحظة السريعة للشعر الإسلامى الملتزم

(١) السابق ص ١٠١ " بتصرف يسير " .
(٢) السابق ص ١٠٣ .

تجعلنا ندرك أنه وحده الذى كان يبحث عن الحقيقة دون نفاق أو مواربة "[1].

أما الإمتاع فمعلوم أنه يتحقق فى الأدب من خلال التعبير الفنى الجميل المؤثر ، الذى يتشرب بالعاطفة ، فيعمل عمله فى إثارة المشاعر فيحقق المتعة فى المتلقى .

وأما الفائدة وإن كانت مطلب كل مذهب من المذاهب الأدبية إلا أنها فى الأدب الإسلامى تتحقق من خلال معالجة الموضوعات من وجهة نظر الإسلام ، فالأدب الإسلامى تصور الأديب المسلم للكون والحياة تصورًا نابعًا من قيم الإسلام ومبادئه .

وقد حدد الدكتور / على صبح أهداف الأدب الإسلامى فى عدة أهداف :

١ - تبصير المتلقى بالهداية والرشاد والحق والخير والجمال وتحذيره من الزيغ والضلال والفساد والانحراف .

٢ - يرغب فى التخلق بمكارم الأخلاق والتحلى بالفضائل والمحاسن وينفر من الرذيلة والصفات الذميمة .

---

(١) الواقعية الإسلامية فى الأدب والنقد - د / أحمد بسام ساعى ص ٨٨ - دار المنار - جدة - السعودية - ط الأولى ١٩٨٥ م .

٣ - تربية الشعور الصادق والسامى بالمشاركة الوجدانية والعاطفية وتنمية الذوق الجمالى والحس الراقى المنحضر فى القول والسلوك والتعامل مع الإنسان والمخلوقات [1] .

كما تعرض لسمات الأدب الإسلامى ومعالمه بالتفصيل وهى بإيجاز :

١ - الربوبية تمنحه السمو والخلود ، لأنه يلبى الفطرة الإنسانية التى أبدعها الله تعالى فى الإنسان ، فيدرك بها نواميس الكون التى سخرها الله لخلافته فى الأرض .

٢ - الثبات فى مقومات الإنسانية وقيمها الأخلاقية لصيانة النفس من الزيغ والضلال والفساد ، فلا يخضع الأدب الإسلامى للصراعات والتيارات الهدامة .

٣ - الشمول ليشمل منهجًا يحمل صفة العموم والعالمية غير مقيد بالإقليمية وضيق الأفق .

٤ - التوازن بين مصادر المعرفة ، وبين الكون والحياة فلا يهمل جوانبها المختلفة ليحقق بينها التوازن والتناسق التى يمنحها الخلود والسمو .

---

(١) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق - د / على صبح ٣ / ٣١٧ - ط ١٩٩٨ م .

٥ - الإيجابية ، ليكون دوره إيجابيًا فى خلافة الأرض وتقدم الحياة ، ليؤدى دوره فى بناء الحضارة الإسلامية وأطوارها المتجددة فى كل عصر وفى المستقبل .

٦ - الواقعية فى الأدب الإسلامى ليرقى بالأمة الإسلامية لتكون أقوى الأمم [1] .

(١) انظر : الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق - د / على صبح ٣ / ٣١٨ - ٣٢٠

الفصل الأول

المحاور الموضوعية فى ديوان (يا إلهى)

أول ما يسترعى الانتباه فى هذا الديوان عنوانه (يا إلهى) فهى عبارة مشعة ، مشحونة بالمشاعر ، تكشف لنا عن نفسية الشاعر منذ البداية ، فهى تحمل مشاعر الضراعة ، والخوف والرجاء ، كما أنها تتضمن الاستعانة والاستغاثة .

ومعلوم أن المؤمن يلجأ - دائمًا - إلى الله تعالى فى كل أحواله ، ففى الرخاء يطلب منه - تعالى - العون على شكره كما قال الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾ [1] ، وفى الشدة يسأل الله - سبحانه - العون والصبر كما قال الله - تعالى - على لسان طالوت وجنده : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [2] .

(١) سورة النمل من الآية ١٩ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٠ .

والشاعر يعلن هذه الضراعة صراحة فى مقدمه الديوان حيث يقول : " يا إلهى !!! فى ضراعة العابد أرفع إلى علاك ما يسَّرته لى من شعر ، لعله ينفع الناس ، ولعله ينفعنى حين لا ينفع مال ولا بنون "[1] .

(١) ديوان يا إلهى - محمد التهامى ص ٥ - دار البشير - الطبعة الأولى ١٩٩٤ م

المحور الأول

التضرع والدعاء والشكوى

وعنوانها (دعائى فى ليلة القدر) ومن خلالها نتعرف على عالم الشاعر الذى ينطلق منه فى التزامه بالإسلام فكرًا وشعورًا ، فكلها ابتهالات ، وتضرع ، وشكوى إلى الله - تعالى - مما يراه فى واقعنا مخالفًا لديننا وعقيدتنا . من تبدل فى القيم ،وانحلال فى الأخلاق ، ويرجو أن يعود المجتمع إلى ما كان عليه من طهر ، ونقاء ، وسلام ، وأمان ، وأن يخلو وجه الأرض من أولئك الذين يقفون فى وجه الدعوة إلى الله ، ويحاربون الدعاة ، هؤلاء الذين يرمز إليهم بعبارة قرآنية توفى المعنى ، وتحمل من الإيحاءات ما تحمل (حمالة الحطب) ، وهى اقتباس رائع جميل ، جدير بنا أن نذكره للشاعر .

والقصيدة ذلت إيقاع نغمى خفيف قصير ، يساعد على الترنم بها فى ضراعة ، وييسر على القارئ حفظها ، فهى من بحر الوافر المجزوء ، يقول فيها[1] :

بكل الشوق فى قلبى ∴ طرقت الباب يا ربى

وفى شفتى ضراعات ∴ لقلب ذاب فى جنبى

(١) الديوان نفسه ص ٧ ، ٨ .

إنها مناجاة نبعت من قلب ممتلئ بالإيمان ، مفعم بعاطفة الخوف المشروح بالرجاء ، كما أنها تضرع حقيقي ، نابع من قلب طاهر ، تصدقه دموع العين المنهمرة ، التي تظهر ذنوبه كما يقول :

دعـــاء في تأفقـــه ∴ صـــباء غـــير ذي شـــب

بـــل الطهـــر في دمعـــي ∴ ليغســـل صـــدقه ذنـــبي

ويتمكن المؤمن الواثق بقبول الدعاء ، المطمئن بتحقق الرجاء ، وغايته الأسمى رضا ربه الرحيم يتهلل قائلاً :

وحســبي أنـــك الرحـــ ∴ ـــمن في رضـــوانه حســـبي

تجـــب ضـــراعة المحـــ ∴ ـــزون عند الموقف الصـــعب

ولمدى خطـــوة الخـــطوا ∴ ت إن ضلت عن الـــدرب

ظلمت رضاك يا رحـــ ∴ ـــمن واسترحمت في طلـــبي

وعلى هذا النحو يمضي الشاعر في ابتهالاته وضراعاته ، ولا ينسى في دعائه أن يخلص الله - تعالى - هذا العالم من شر الإنسان ، الذي طغى وظلم ، وتخلى عن إنسانيته ، وهو في وحشية متناهية وان ارتدى ثوب إنسان ليبدو وديعا فإنه يخفي وراءه كل شر ، يقول :

ويا عوى علـــى الإنســـا ∴ ن والإنســـان يغـــدر في

ولبـــس لـــوب إنســـان ∴ ليخفي صـــورة الـــذئب

ســـألت الله أن ترتـــا ∴ ح دنيانـــا مـــن اللـــهب

وأن يرتاح صـــدق النـــا ∴ س من دوامـــة الكـــذب

وأن يخلـــو رحـــاب الأر ∴ ض من جمالـــة الخطـــب

وأن يرضى رضاء بنفـــ ∴ ـــس الدنيا مـــن العصـــب

والله - سبحانه وتعالى - عنده مفاتيح كل شيء ، فمؤمله لا يخيب ، كما أنه - تعالى - سميع قريب ، للسائل مجيب :

هو المعطـــي بـــلا مـــنّ ∴ عطـــاء غـــير مقتضـــب

دعوت وحلمـــي الـــمأمو ∴ ن يبدو اليوم عن كثـــب

تعـــالى الله مـــن دان ∴ إلى الـــداعي ومقتـــرب

ولا يخفى تأثر الشاعر بالأساليب والمضامين القرآنية الكريمة ، بل هي خاصية واضحة في هذه القصيدة ، وسمة قلبة تستأهل منا التقدير للشاعر .

وفي إطار هذا المحور أيضاً تأتي قصيدة الشاعر : (أيها الحجاج) ، وفي هذه القصيدة يكتفي بأن يشكو إلى الله - تعالى - حال أمتنا ، وما آلت إليه من ضعف وخور ، وقد تكالب الأعداء علينا وانتهكوا حرماتنا ومقدساتنا ، وأعراضنا ، حتى لقد ظهرت للعيان نواياهم الخبيثة وما يكنونه من كراهية لنا ، وهدفهم أن نتخلى

عن ديننا ، ونتبرأ من أصالتنا ، ويختم أبياته بطلب الغوث من الله – تعالى – ويسأله النجاة من هذه النكبة ويضرع إليه – سبحانه – أن يجمع الصف حتى نستطيع استعادة حقوقنا ، ورد الظلم عن المظلومين ، فيقول :

يا رب خيمت البلوى بساحتنا ∴ وما لنا من بنى الإنسان منتصف
داسوا مساجدنا الشماء فانهدمت ∴ فى صحنها مات قوّام ومعتكف
وشردوا أهلنا فى كل ناحية ∴ ما عاد فى دارنا باب ولا غرف
ودنسوا عرضنا الغالى وقصدهم ∴ ألا نعيش وفى أوطاننا شرف
تصح من حولنا الدنيا وتخذلنا ∴ كأن تجريدنا من ديننا هدف
وصفُّا يا إله الكون مفترق ∴ لا يستجيب إلى الداعى ويأتلف
وأنت يا ربنا غوث لكيتنا ∴ تعينا لنلاقى مَنْ بنا عصفوا
ونسترد حقوقًا غاب حارسها ∴ فهات فى الأرض ظلام ومعتسف

وفى هذه المقطوعة تتجلى مقدرة الشاعر اللغوية التى مكنته من اختيار الكلمات المعبرة عن حالته النفسية المتعبة المتألمة لما يراه فى واقع أمتنا المر . ولنتأمل هذه المفردات التى حشدها فى أبياته (خيمت – داسوا – انهدمت – قوام – معتكف – شردوا – دنسوا

(١) الديوان ص ٧٥ .

– تضج – ظلام – معتسف) إنها كلمات مشحونة بكم من العواطف ، وقد وظفها فى سياقاتها لتنقل هذا الإحساس ، وتجسد هذه المأساة ، ويمكن أن نتأمل هذه الصور التى تجسد هول الموقف ، وفداحة الخطب (خيمت البلوى – داسوا مساجدنا – ما عاد فى دارنا باب ولا غرف – دنسوا عرضنا) إنها صور مدمية حقًا ، فيها وخز الإبر لهذه الاستكانة والدعة التى منيت بها أمتنا ، وكل صورة من هذه الصور توحى بكثير من المعانى والرموز والأفكار ، ولو أردنا أن ننثرها لاحتاجت إلى عدة صفحات ، ولا تفى ، بل تبقى بعد ذلك للصورة الشعرية خصوصيتها ، وهذا هو الفن الشعرى : " فمحور الصور فى الشعر هو تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية " [١] ، وتكمن أهميتها فى أنها تكثف المعنى ، فهى تغنى الشاعر عن الشرح إذ ليس " فى مقدوره أن يشرح ؛ لأنه يعتمد على الإشارة المكثفة [٢] ، التى تحمل ما تحمل من فداحة الخطب ، وهول الأحداث ، وشراسة العدو ، ويعتمد الشاعر على الأفعال الماضية التى تحكى المشاهد المؤلمة الموجعة (خيمت – داسوا – شردوا ...) إلخ .

(١) نظرية البنائية فى النقد الأدبى – د / صلاح فضل ص ٣٥٩ – دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٨٥ م .

(٢) السابق ص ٣٦٣ .

المحور الثانى

الحديث عن شريعة الإسلام وما تميزت به من عدل ورحمة

وقد رأيت الشاعر فى هذا المحور يسلك عدة اتجاهات ، فهو تارة يتحدث مدافعا عنها - أعنى الشريعة - فى حماس ، وكأنه يرد على دعاة المذاهب الهدامة من المعاصرين علمانيين وغيرهم ، وتارة يتحول فى حقول التاريخ الإسلامى ؛ لينقل لنا صفحات مشرقة لسلف الأمة ، الذين تمسكوا بهذه المبادئ السامية فعزوا وسادوا ، وتارة ثالثة يتناول هذا المحور من خلال عقد موازنة بين هذه الشريعة السماوية ، وتلك المذاهب الأرضية ؛ لنرى الفرق بين المنهج الربانى ، ومناهج البشر ، ففى قصيدته (فى ذكرى المولد) يدافع فى حماس شديد عن هذه الشريعة التى وضعت أساس العدل والحكم ، ورسمت للإنسانية طريق القيم ، وإذا أردت الوقوف على ذلك فانظر إلى هذه القيم التى نشرها شريعة الإسلام ، فغيرت بها وجه الحياة ، وأنقذت الإنسانية من دروب التيه وأسلمتها سبل الرشاد ، فتبدد الظلم والكفر ، وتلاشت الأطماع ، وتطهر الكون من أرجاس الشرك ،

بعد أن ارتفعت راية هذا الدين وأضاءت مشارق الأرض ومغاربها ، يقول [1] :

تعالى أيها الذكرى ∴ وطوفى مرة أخرى
وقولى : كيف هلّ النو ∴ ر تحمل كف الفجرا ؟
وكيف اهتز هذا الكو ∴ ن لما أدرك الأمرا ؟
بأن الله قد ألقى ∴ إلى أكوانها سرا
يشق مجاهل الدنيا ∴ ويلمع فى الدجى بدرا

وتتوالى الأسئلة التى تنم عن تدافع العواطف وتدفقها ؛ لتصور هذا التغيير الجذرى والسريع ، الذى حدث فى المجتمع مع إشراقة شمس هذا الدين ، وكأنى بالشاعر يدين بهذه التساؤلات - من جانب آخر - واقعنا الحاضر ، الذى تخلّى عن كثير من هذه القيم السامية ، يقول :

وقولى : كيف فاض الخير ∴ ر يمحو حوله الشرا ؟
وكيف تألق الإيما ∴ ن يطوى البغى والكفرا ؟
وكيف تبسم الحلمو ∴ د فى الصحراء واخضرا ؟
وكيف تدفق الإنسا ∴ ن فى درب الهوى سيرا ؟

---

(١) الديوان ص ٩ وما بعدها .

وكيف تسامت الدنيا ∴ بدين ينشر الخيرا ؟

وماست راية الإسلا ∴ م فى علبائها فخرا

ولكنه بعد ذلك يأسف على أمته فى هذا الزمان ، لقد خلت الساحة منها بعد أن كانت سباقة فى كل مضمار فمالها الآن تأخرت ؟ ! ولم يعد لها فى الكون حساب ، أين هذا النور فى حياتنا ؟ لقد تناءى عنا بعدنا عنه فى الوقت الذى نحن فى أشد الحاجة إليه ، فتحولت حياتنا ليلاً مظلمًا ، وظللنا الطريق ، وهُنّا فى الكون ، وطمع الأعداء فينا ، على الرغم من كثرة عددنا يقول :

تعالى أيها الدنيا ∴ فقد جئنا لأدرى

تنادى نوره العالى ∴ فطال الليل واستشرى

وضعنا فى غيابه ∴ وأصبح عيشنا مرا

وهنا فى حساب الكو ∴ ن لم نبلغ به صفرا

وإن كُنّا ملايينا ∴ فنحن الأمة الصغرى

تخف بنا من الأطما ∴ ع ما قد جاوز الحصرا

إنه الأسلوب السهل الممتنع ، الذى تميز به الشاعر ، أما ولعه بالاغتراف من معين الثقافة الإسلامية لفظًا ومعنى فواضح ، لا يحتاج

إلى كبير جهد للوقوف عليه ، فأمتنا كثير عددها الآن ، ولكنها (غثاء كغثاء السيل) كما فى الحديث الشريف [١] .

وهذه القصيدة لخفة إيقاعها ، وسلاسة ألفاظها ، تعد بحق أنشودة ، وكأنى بالشاعر يريد أن تحفظ مثل هذه القصائد ، التى أكثر منها فى ديوانه هذا ، ويتمنى أن يرددها المسلمون فى حماس ، ويتغنى بها شبابهم ، عسى أن توقظهم من غفلتهم ، وتثير حماسهم ، فتنهض الأمة من جديد .

وفى قصيدة (نور الميلاد) ينطلق فى رؤيته نحو التاريخ ، ليحمل إلينا صورًا مشرقة لسلف هذه الأمة ، الذين وعوا تلك المبادئ ، ونهجوا طريقها ، حفظوها قولاً ، وعملوا بمقتضاها فعلاً ، وصدقت أفعالهم أقوالهم ، فملأوا الدنيا حقا وعدلا ، وخيرًا ، ورحمة ، وتوارث المسلمون هذا المنهج فى العصور التالية التى ظلت متمسكة به ، فانتشر الدين - كما أراد الله عز وجل - حتى وصل إلى الأجيال المعاصرة ، التى ما رعت هذه المبادئ حق رعايتها ،

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٥ / ٢٧٨ - ط المكتب الإسلامى - بيروت ١٩٨٣ م ، وأبو داود فى سننه ٤ / ١١١ - تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد - ط دار الفكر - بيروت .

وعصت تخبط فى الظلمات ، فالسلف الصالح كان متمسكًا بالحق ،
صادقًا فيه وكان مثالاً يحتذى فى الإيمان بالله :

الحق فى يدهم فى كل ما فعلوا ∴ وفى لسانهم فى كل ما نطقوا
قد أسسوا الحق فى أرجاء ساحتهم ∴ فاستمد من حوضهم فى الكون ينطلق
يشهر الأرض يكسوها بشرهم ∴ بأس بماء الله تلتحق
وأن من أهلها قومًا إذا انطلقوا ∴ مع الملائك فى إيمانهم سبقوا
قد صيروا الأرض جنات مزخرفة ∴ فيها الثمار وفيها الظل والعبق [1]

وواضح فى هذه الأبيات وغيرها حسن استخدامه للمفردة الدينية التى تحيا للقصيدة الإسلامية جوها الخاص ، فكلمات (الحق - يشهر - لفظ الجلالة " الله " - الملائك - إيمانهم) وحسن موقعها فى سياقها يدلنا على مدى ارتباط السلف بهذا الدين ، وكأن الشاعر يريد أن يقول : كان منهج الدين فى كل حياتهم فكانت النتيجة الحتمية التى ذكرها فى البيتين الرابع والخامس وما أجمل هذه النتيجة التى انتهى إليها من تمسك هؤلاء بدينهم فبعضهم سبق بإيمانه الملائكة ، وبإيمانهم أصبحت الأرض جنات خضراء فيها الثمار والظل والعبق .

---

(١) الديوان ص ١١ وما بعدها .

أما أهل هذا الزمن فوا أسفا ! ! لقد أضاعوا ما شاده السلف الأماجد ، لقد كثرت أقوالهم ، وقلت أعمالهم ، فتبدل حالهم ، وكانت النتيجة هذا التخبط ، يقول :

وأصبح النور فى الذكرى يطالعنا ∴ ويفتح الحلم حينًا ثم ينغلق
نهم .. نبسط كفينا لنبلغه ∴ فلا ننال ويدمى قلبنا الحنق

والصورة فى البيت الأخير يستلهمها من صور القرآن الكريم ، حين يصور لنا حسرتنا وآلامنا على عدم تحقق الأمل المنشود بعدما كدنا نقبض عليه بكفينا فهى مستمدة من قول الله - تعالى : ﴿ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ [1] .

أما قصيدة (شريعة وشريعة) [2] فهى تمثل من هذا المحور أوضح تمثيل فمن عنوانها يتبين لنا أنها تقوم على الموازنة بين شريعة الحق الربانية ، التى جاءت لإصلاح العباد ، وشرائع البشر ، التى زعموا أنها جاءت لتخلص الإنسانية من قيودها ، إن شريعة الإسلام هى التى أعطت للإنسان حريته ، واحترمت إنسانيته ، وسوت بين الناس جميعًا فى الحقوق والواجبات ، فلا فرق بين غنيهم وفقيرهم ،

---

(١) سورة الرعد من الآية ١٤ .

(٢) الديوان ص ٣٧ .

بل الكل فى حق الحياة سواء ، شريعة ميزان التفاضل بين البشر فيها
هو الإيمان لا غير ، ولذا فقد أشرق الكون وأضاء بنورها :

قد صاغها الرحمن فى عليائه ∴ فتألقت أرض بها وسماء
أعطت لكل الناس نور حياتهم ∴ فإذا متاهات الحياة ضياء

شريعة الإسلام لا حساب فيها للألوان أو الأجناس ولا مكان
فيها لقوى أرعن ، يريد أن يفرض رأيه ، أو يحكم بحسب هواه :

ما ضرهم أن قد تفرق لونهم ∴ فجميعهم فيما شرعت سواء
لا القوة الرعناء تحكم بينهم ∴ أبدًا ولا تتحكم الأهواء
فالناس - كل الناس - فرد واحد ∴ لا فرق إلا تلكم الأسماء

وهل عرفت البشرية فيما وضعت من قوانين ودساتير منهجًا
يمنح الإنسان حريته وكرامته كما فى شريعة الإسلام ؟ ! وأى منهج
بشرى حث على الترابط بين أبناء المجتمع الواحد ، والتواصى فيما
بينهم حتى ينعم الجميع بحق الحياة ؟

ثم نراه يؤكد هذه المساواة بين الناس فى قصيدة أخرى حيث
يلتقط من التاريخ المشرق لهذه الأمة صورة تؤكد أن الألوان لا
اعتداد بها فى ظل هذه العقيدة ، فها هو ذا بلال بن رباح

الحبشى - رضى الله عنه - ينادى للصلاة ، فيهرع الجميع لتلبية
النداء . يقول فى قصيدته (أذان بلال) [1] :

ما ضر أنك أسود ∴ فنداك كالفجر الندى
والناس حولك كلهم ∴ من أبيض أو أسود
يتجمعون ويهرعون ∴ إلى نداك المسعد
لا ينظرون للونهم ∴ فى عالم متوحد

والشاعر كغيره من الشعراء الإسلاميين الذين يرون أن
الأدب يجب أن يشتمل على دعوة إلى القيم الخلقية والتربوية ، وهذه
القيم التى يدعو إليها مستمدة من عقيدة الإسلام ، التى يجب أن
تمسك بها أتباعه ، ففرائض الإسلام وأركانه تشتمل على تهذيب
النفس وتزكيتها .

ولو تأملنا أركان الإسلام لوجدناها تنمى روح الترابط فى
الأمة ، فركن الزكاة مثلاً يربط الأغنياء بالفقراء من خلال هذا الحق
المالى المفروض :

فعليه من حق الزكاة فريضة ∴ ولكل محمود العطاء عطاء
فالمال مال الله فى عليائه ∴ والناس فى هذا الورى شركاء

---

(١) الديوان ص ٣٥ .

وفى فريضة الصوم حكمة بالغة :

وفرضت أيام الصيام ليسوى ∴ أهل الغنى فى الجوع والبوساء

وتأكيدًا لهذه المعانى التى تميزت بها شريعة الإسلام ينتقل بعد ذلك لعرض صور من هذا الزيف الذى يتشبث به دعاة الحضارة التى حققت للإنسانية ما تصبو إليه - حسب زعمهم - فيرينا مجتمعاتهم وقد لفها ظلام كثيف ، وحاصرها التميز على حساب اللون أو الجنس ، حيث قسموا البشرية إلى طبقية ممقوتة ، وتحكمت فيهم الأهواء ، فضاع العدل بينهم ، يقول :

بكفيهم أن تحكم لونهم ∴ وطغت عليه القشرة البيضاء

سود وحمر فى حمى أوطانهم ∴ يستعبدون وكلهم أجراء

قد مال ميزان العدالة بينهم ∴ وتفاوت الأنداد والنظراء

البعض يقتله الشقاء وحوله ∴ بعض بقسوة ظلمهم سعداء

هذى شرائعهم وتلك حياتهم ∴ ظلم وكذب صارخ ورياء [٣]

زعموا أنهم خلصوا الإنسانية من الذل وتشدقوا بما يسمى بحقوق الإنسان ، ولو تأملنا حياتهم لوجدناهم أبد ما يكونون عن

---

(٢) الديوان ص ٣٩

(٣) الديوان ص ٤٠

(٤) الديوان ص ٤٨

الحق ، فقد وضعوا قوانين صيرت حياتهم جحيمًا لا يطاق ، على الرغم من تقدمهم العلمى ، يقول فى قصيدة (أذان بلال) [١] :

مهما تألفت العلوم ∴ وأصبحت ملك اليد

فثيابهم فيها غبار ∴ الجهل لم يتبدد

ما دام فيهم أبيض ∴ يغتال حق الأسود

ويظن أن اللون ∴ حجة باطش مستعبد

ودليل شيطان يجر ∴ إلى اللقاء الحاقد

إن الحياة على لقاء ∴ فى جحيم موقد

وهذه الأبيات ترسم صورة جد واضحة لهذه المجتمعات ، وما تتردى فيه من موبقات ، وتفسر لنا السر فى أن أغلب جرائم الانتحار تتم عندهم ، وهو فى ذلك يبث الأمل فى النفوس بأن البقاء للإسلام .

وفى الأبيات دلالة على أن الشاعر معايش للواقع ، يعرف ما يجرى هنا وهناك وليس منطويا على نفسه . وهذا مبدأ المسلم الذى يلتزم بمنهج الإسلام فى كل حياته ، ويعالج الأخطاء من منظور إسلامى ، وبروح هادئة لا ثائر .

---

(١) الديوان ص ٣٦ .

المحور الثالث

حيرة المسلم المعاصر في خضم الحياة المعاصرة وضياع

كثير من القيم

يستطيع الشاعر في هذا المحور من خلال رؤيته الإسلامية

يحدد الداء ويصف الدواء ويذكر أسباب هذه الحيرة ، التي تنحصر

- عنده - في البون الشاسع بين الواقع والمأمول ، ولكنه بعاطفة

المؤمن الواثق بنصر الله لعباده لا ييأس ، بل يبث الأمل في النفوس ،

ويسترف المستقبل ، فيرى أن قرب الظلام حتما سيتبدد ،

وأن ضوء الفجر سيقضي ظلمات الليل ، يقول في قصيدة (الإيمان

والعمل) :

في نفحة الإيمان نبض الشاعر ∴ وبريق آلام ، ويسكن خاطر

في راحة الجرح يشتهي البحر ∴ وتطوى آلام الشجن المهاجر

وجه تطلع في دجى الليل مؤمن ∴ فالليل ليل الصبح آخر

ولكنه يعطف الأمل بعودة النور إلى حياتنا ، هذا الأمل الذي

نراه في تطلعه نفس كل مؤمن في عصرنا الحاضر ، فرغم كل هذه

المعضلات التي تحيط المؤمن ، وعلى الرغم من كل هذه التحديات

---

(١) الديوان ص ٩٦ - ٩٣ .

التي تعترض طريقه ، عليه أن يكون أمله في الله ، وفي نصره لعباده

دافعه لعدم اليأس ، فبالإيمان الذي يملأ القلب ، تسكن الآلام ،

وتتلاشى الهموم والأحزان ، وتتبدد الظلمات .

وفي قصيدة : (هلَّ الصيام) [1] يعرض أسباب حيرته ،

ويراها فيما آل إليه حال أمته من ضعف ، وفيما يعاني منه

المستضعفون من ظلم ، وهو لا يستطيع أن يقدم لهم شيئًا ، مأساة

عامة تتقطع لها نفسه حزنا ، وتهز إحساسه بإخوانه المقهورين هزًا

شديدًا ، فيقول :

حاد الطريق بنا وجانبه الهدى ∴ فمضى يجر الناس في عثراته

في كل ركن مسلم متعثر ∴ كلٌ يُحدث عن صدى مأساته

وكأن كل الأرض قد ضاقت به ∴ وتجمعت لتسد درب حياته

وهذا المضمون يذكرنا بقول الشاعر الإسلامي محمود غنيم

عن هذه المأساة :

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد ∴ تجده كالطير مقصوصًا جناحاه

وحين يصور شاعرنا الأعداء الذين يتربصون بأمتنا ، ولا

يألون جهدًا في النيل منها بصورة (الذئب) ، التي تثير في النفس

---

(١) الديوان ص ١٧ - ١٨ .

معانى عدة ، أهمها شراسة الفعل ، ويستخدم فعل (التمزيق) ؛ ليجسد هذه الشراسة فيقول :

من لم تمزقه الذئاب تركته ∴ يضوى وقد حرمته من أقواته

عرته حتى لم يعد فى كفه ∴ ما يستر المحظور من عوراته

وبعد ذلك يصف الدواء ، ويرسم طريق النجاة ، وهو دواء واحد ، وطريق واحد ، يتمثل فى عودة المسلمين على دينهم ، وتشبثهم بإيمانهم ، فإذا تم لهم ذلك رضى عنهم ربهم ، وعندئذ تتبدد المخاوف فى حياتهم ، وتأتيهم الدنيا وهى راغمة ، فالمسلم :

لو أحسن الإيمان أرضى ربه ∴ وانساقت الدنيا إلى مرضاته

تعطيه نصر المهتدين وعزهم ∴ ويثيبه الرحمن فى جناته

إن النجاة من هذه الحيرة التى يعيش فيها مسلمو العصر ، الذين كادت تعصف بهم الأحزان تتمثل فى الالتزام بالإسلام فكرًا ، وسلوكًا ، ومنهج حياة ، والشاعر يرى فى فرض الصوم طريق للنجاة من هذه الحيرة ، والصوم - كما هو معلوم - يقوى الإنسان لينتصر على شهواته بالصبر ، يقول فى قصيدة (فى نور الصيام) [1] :

الصوم للحيران طوق نجاة ∴ وطريقه الهادى إلى الجنات

(١) الديوان ص ١٩ - ٢١ .

إن ضاقت الدنيا وقل ضياؤها ∴ ومضت مسالكها إلى العثرات

وتنوعت فيها الكروب وعبئت ∴ ترمى قلوب الناس بالحسرات

فإذا بخطو السائرين على اللظى ∴ يمتد فى درب من الجمرات

زكى الصيام لها عزيمة صابر ∴ يمشى على رمضائها بثبات

فبالثبات على الإيمان ، والصبر على المكاره ، يمضى بالمؤمن المطمئن حتى يصل به إلى بر النجاة ، وبثقته بالله - تعالى - يعلو على الهزائم التى تحاصره ، ولكن يجب عليه فقط أن يأخذ بأسباب النصر ، أما النصر فآت لا محالة ، مصداقًا لسنة الله فى خلقه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [1] ، ومهما طال الليل فلابد من الفجر ، وما على المسلم إلا السعى والتوكل على الله :

يسعى ويؤمن أن ربك قادر ∴ والنصر بالصبر الجميل مُوات

مهما طوانا الليل فى أعماقه ∴ فالفجر منتظر على العتبات

والليل رمز للظلمات والمخاوف والهموم ، والفجر رمز للضياء والنشاط والحيوية والاطمئنان .

وحين تعصف الأحزان بقلب الشاعر ، عندما يرى هذه المتناقضات فى حياته ، ويعيش مغيبًا عن وعيه فى هذا الخضم من

(١) سورة غافر من الآية ٥١ .

الأمواج العاتية ، فى هذا العالم المادى ، يريد أن يضع يده على الحقيقة ليقبض عليها وليتعلق بها ، فتأبى عليه ، فيدفعه التوقد الداخلى إلى التعبير عن هذا الإحساس ، كواحد من المسلمين فى قصيدته : (منتهى الحيرة) [1] ، حيث يقول :

تحالف الصدق فى دنياى والكذب ∴ وذوب الماء فى كفى واللهب

وتاه فكرى منى فى مراوغة ∴ خلف الحقيقة .. تخفى وهى تقترب

تشدنى من بعيد وهى سافرة ∴ حتى إذا قاربت عينى تنتقب

فلا أراها وإن لامست جلدتها ∴ ولا أرى عندها ما كنت أرتقب

تضيع منى وفى كفىَّ قشرتها ∴ أما اللباب وما فيه فيستلب

هذه الأبيات يهز بها الشارع واقع الأمة فى عنف ؛ حتى تستفيق مما هى فيه ، وحتى يقف المسلمون المعاصرون على حقيقة دينهم ، ويحيوا على منهجه .

فحيرة الشاعر بلغت منتهاها بسبب ما يراه من تمسك بعض المسلمين بظاهر الدين ، أما لبابه وجوهره فمسلوب منهم بإرادة أعدائهم ويؤمل نفسه بآمال يراها بعيدة المنال إن لم تكن مستحيلة :

أهيم فى روضة تبدو محنحة ∴ وليس فى فرعها تين ولا عنب

---

(١) الديوان ص ٨٣ - ٨٤ .

تسيل فى نفسى آمالاً فإن بلغت ∴ ظل السراب تولى وهى تكتئب

منتهى اليأس أن تكون آماله : ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ [1] ، ولعل هذه القصيدة من أهم قصائده التى ينأى فيها عن المباشرة ، والأسلوب التقريرى ، ويعتمد فيها على اللغة التصويرية ، التى تصنعها المفردات ذات الإيحاء ، ولك أن تتأمل هذه الكلمات وتلك التراكيب (تاه - مراوغة - تنتقب - أرتقب - ظل السراب - تكتئب - ليس فى فرعها تين ولا عنب) ، وهى مفردات وتراكيب ثرية بما تحمله من دلالات ، وقد وظفها بدقة ، لتكشف عن حيرته ، وحيرة غيره من العقلاء فى هذا العصر ؛ لما يرون من زيف ، وخداع ، وتضييع للحقائق وهكذا " فبنية المعنى فى الشعر تتولد من صوره ، غذ ليست الصورة الشعرية حلى زائفة ، بل إنها جوهر فن الشعر " [2] .

والشاعر يشحذ همم المسلم المعاصر ليعلو على كل الجراح ، لأنه يملك أقوى سلاح وأمضاه ، وهو سلاح الإيمان الذى تتهاوى

---

(١) سورة النور من الآية ٣٩ .

(٢) انظر : نظرية البنائية فى النقد الأدبى ص ٣٥٦ " بتصرف "

أمامه كل الأسلحة ، فالمؤمن وحده هو القادر على تجاوز كل العقبات ، يقول فى قصيدة (إلى أين ؟) [1] :

ومضة الإيمان لو أشعلتها ∴ لأضاءت كل كنز مدخر

وانتهى الإنسان من أوهامه ∴ واستوى العملاق حرًا واقتدر

وحدك القادر فى أوطانه ∴ لو مشى فى أرضها كل البشر

عزمك الموثق لو أطلقته ∴ فى بحار من لظى البلوى عبر

حتف المسلوب لو أدركته ∴ لتحدى كل قهر وانتصر

(١) الديوان ص ٨١ - ٨٢ .

المحور الرابع

الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله فى الكون

وقصده من خلال هذا المحور أن يثبت أن إخوانه المسلمين على الحق ، ويسلك الشاعر فى سبيل ذلك عدة طرق ، فتارة يجوب فى فجر التاريخ لهذه الدعوة المباركة ؛ ليبين أن الصراع بين الحق والباطل قد صاحب هذه الدعوة منذ صدع بها رسول الله ﷺ وعلى الرغم من أن الإنسانية كلها كانت فى حاجة ماسة لهذا الدين القويم الذى يضئ لها حياتها ، ويروى ظمأها ، فإن رسول الله ﷺ عانى كثيرًا من أهل الباطل ، وقاسى جفوتهم لدعوة الحق وتنكرهم لها ولأهل الحق فى زماننا أسوة فى الرسول الكريم صاحب الدعوة ، ففى قصيدة (الهجرة ومعركة التحول) [1] يقول الشاعر :

أيها الإنسان فى كفرانه ∴ قد ملأت الدار جمرًا يستعر

ورددت الباب فى وجه الهدى ∴ لم يعد للنور فى الدار مقر

لكن صاحب الدعوة صبر وصابر ، ولم يبال بأن يترك أحب البلاد إليه ، ويتحمل الشدائد لترتفع راية الدعوة ، وليتحقق وعد الله له :

(١) الديوان ص ٣٢ - ٣٤ .

لم يعد إلا انطلاق للمدى ∴ يمح النور سناء ينتشر

لا يبالى إن نأى عن داره ∴ بالذى يلقاه مشتاق هجر

فى سبيل الله يكوى قلبه ∴ يتأسى باللقاء المنتظر

ولقد وقف جند الكفر بكل قواهم أمام هذه الدعوة ، وأوصدوا أبوابهم فى وجه صاحبها ، ولكن النصر - دائمًا - لجند الحق فيها غلت صيحات الكفر :

والتقى الإنسان فى معركة ∴ كل ما فيه لديها يختبر

سيطر الإيمان فى أرجائها ∴ فإذا المؤمن فيها ينتصر

أيد الإيمان لما ساقه ∴ صادق الإيمان للعليا عبر

وهكذا لا تثير ذكرى الهجرة فى نفس الشاعر مر الذكريات ، ولكنها تمثل عنده فلسفة عميقة ، إنه يتأمل هذه الأحداث التاريخية العظيمة ، ليستخلص منها ما يقوى إيمان إخوانه المجاهدين المرابطين على الحق ، ويشد على أيديهم ، فالجهاد ، وتحمل الصعاب ، طريق السعادة ، وبعد الهجرة جاءت المعركة الفاصلة بين الحق والباطل ، والتى أكد فيها دليلاً على الصراع المستمر بين الإيمان والكفر ، وهى انتصار الإيمان ودحر الكفر

واللغة التى استخدمها الشاعر تمتاز بمفرداتها ذات الثراء والإيحاء ، وهى كلمات وثيقة الارتباط بتجربته الإيمانية فالهدى ، والنور ، والسناء ، والإيمان ، والمؤمن ، كلمات تتشكل كثيرًا فى شعر الإسلاميين ، والشعر " تشكيل لغوى خاص يتجه إلى إيقاظ قُوَى الإنسان الخيالية والعاطفية ليبث عبرها رسالته التى تسهم فى تفتيح الوجدان الإنسانى .. ويمكن للكلمات أن تتشكل فى عبارات ذات دلالة يستطيع بها الإنسان أن يعبر عن التفكير أو الشعور الإنسانى .. كما يستطيع أن يقوم بتشكيل صيغ لا تنقل المعنى المباشر فحسب ، وإنما تنقل أيضًا معانى ضمنية غير مباشرة "[1] .

والشاعر يؤكد أن الصراع بين الحق والباطل صراع طويل وعميق ، وسوف يبقى ما بقيت فى الأرض حياة ، وإن اختلفت صور الصراع من عصر لآخر . فالصراع فى عصرنا الحاضر صراع من نوع جديد ، لقد أصبح العالم شبيهًا بعالم الغاب ، فصاحب القوة على الأرض وحده هو المسيطر ، وويل للضعيف !! إن الضعيف نداؤه فى مسمع الدنيا صمم . ولكى يفرض القوى سيطرته لا يبالى

---

(١) انظر : فى أدب الأطفال أسسه وتطوره وفنونه وقضاياه ونماذج منه - د / محمد صالح الشنطى ص ٢١٢ - دار الأندلس للتوزيع والنشر - حائل السعودية - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

بما يصيب المجتمع من جراء ذلك ؛ لأنه يستطيع أن يقلب الموازين والحقائق :

أيها الإيمان صرنا غابة ∴ سيطر الوحش عليها واقتدر

لا ترى الإنسان فى أغوارها ∴ غير ظل فى دجاها يستتر

يلبس الشيطان من أثوابها ∴ صورة الإنسان فى أبهى الصور

يخطف الأبصار فى أضوائه ∴ ليوارى الناب عنها والظفر

وسراب العدل أضحى واهيًا ∴ لا يُرى مهما تحراه النظر

وهكذا يمزج الشاعر بين الماضى والحاضر بفنية واقتدار ليصير هذا الماضى طاقة نواجه بها آلامنا الحاضرة فحين تعود إلى الإيمان ، وتطبقه فى كل حياتها سوف تنقذ البشرية كلها من هذه الصراعات وتلك الوحشية وتارة يسوق الشاعر لنا صورًا من صراع الإنسانية فى هذا العصر ، هذه الصور التى من خلالها يعيش إنسان هذا العصر فى جحيم المدنية الجوفاء . ففى قصيدة (العملاق الجديد حوار مع الزمن) [1] يقودنا إلى أمثلة من هذا الصراع فى ظل شريعة الغاب التى يحياها الإنسان فى الحضارة المزعومة ، يقول :

من غيّر الإنسان ؟ من أودى به ∴ من شق معدنه الأصيل وبدّله ؟

---

(١) الديوان ص ٤٤ - ٤٦ .

ماتت مشاعره فأصبح عنده ∴ أن يقتل الآلاف ليست مشكله

هذا المسلح بالعلوم إذا انبرى ∴ وتحكمت أحقاده ، ما أجهله !

استفهامات متكررة تكشف عن إنكاره لما يجرى على الساحة من صراعات ، لا يرى لها مبررًا سوى الطمع الأعمى ، والقوة الرعناء ، فى عصر التقدم العلمى الباهر ، الأمر الذى جعل المشاهد للأحداث فى ذهول ، فالعيون تنظر ولكنها لا ترى ، والآذان تسمع ولكن القلوب فى صمم . يقول فى قصيدة : (أين المسلمون) :

فالناظرون تحولت أنظارهم ∴ والسامعون قلوبهم صماء

والناس قد أعمتهم أطماعهم ∴ وطغت لديهم قوة رعناء

فاستأسدوا فوق الحياة وغرهم ∴ أن الطغاة لهم بها ما شاءوا

وتارة يوجه الشاعر لومه إلى بنى جلدته ، الذين يقفون إلى جانب الأعداء فى هذا الصراع الأبدى بين الحق والباطل ، ويهيب بالأمة أن تنهض بقوة ، ولا تستسلم لأول هزة . فأصحاب الحق أهل لابتلاء الله لهم ، وعليهم أن يكونوا مستعدين لتقبل هذا البلاء بصبر واحتساب .

فقد يبتلى أصحاب الدعوة من أجل تمحيصهم . إن الصراع فى عصرنا من أشد ما شهد التاريخ من صراع :

لقينا من الأحداث ما لو تعرضت ∴ لها الشم ، من أهوالها تتناثر

وحطت علينا من كل جانب ∴ فأنى التفتنا بادرتنا الزواجر

تنمرت الأعداء واختل صفنا ∴ فقد غالنا من بيننا متآمر [1]

إن السبب فى ذلك أننا نواجه حربين فى آن واحد ؛ حرب من الخارج ، وحرب من الداخل ، وربما كانت الحرب الداخلية أعتى ، إذ أننا نطعن ممن ينتسبون إلى عقيدتنا :

ونبلى بشر الناس بين صفوفنا ∴ وفى عرفهم أن تستحل الكبائر

ولا نجاة لنا إلا بالعودة إلى الحق ، الذى جاء به ديننا ، وكفانا كفانا ما أصابنا بسبب بعدنا عن منهج ربنا :

هو الحق إن نرضاه أدبر ليلنا ∴ وهلّت علينا بالنجاة البشائر

ويكفى عذابًا ما لقينا بدونه ∴ ويبقى لنا أن المهيمن غافر

وفى قصيدة (ماذا هناك) [2] يصور لنا خداع الأعداء ، إنهم ينادون بالحرية قولاً لا فعلاً ، فهم أول من اغتال الحرية ، وينادون بالعدالة ، وهم أبعد الناس عنها :

---

(١) الديوان : من قصيدة الإيمان والحق ص ٤١ .

(٢) الديوان ص ٤٣ .

يقال لنا : مع الأحرار سيروا ∴ وقادونا بأحبال ثقال

وقالوا : حقكم هذا فقمنا ∴ لنلقى حقنا صعب المنال

فتهنا فى عجيج من ضلال ∴ تناقض فى المقال وفى الفعال

فما نلقاه فى بلد حرامًا ∴ نراه بغيره عين الحلال

---

(١) الديوان ص ١٢١ ، ١٩ .

المحور الخامس

همـوم أمتنا فى هذا العصر

ويتطلق فى هذا المحور لينقل لنا صورًا من مآسٍ تتعرض لها بلاد إسلامية ورجال ، وأطفال ، ليشحذ الهمم ، ويثير وجدان الغيورين ، وهو محور أطال الشاعر الحديث فيه ، وعلى رأس هذه المآسى تأتى مأساة الشعب الفلسطينى ، فهى الهم الأكبر الذى يؤرق وجدان كل مسلم ، ولاشك أن " المشاهد التى تعبر عن المأساة فى الأرض المباركة ، والصور ، والوقائع التى تعكس المأساة وتظهر فداحة الخطب كثيرة ، بل إن مشاهد القهر والبغى والصلف اليهودى أصبحت مألوفة لدى الجميع " [1] ، وقد ألح على هذه المآسى فى عدة قصائد هى : (الأعزل العملاق ، والقدس ، والأقصى ، و وامعتصماه !) يصور الشاعر هذه المأساة فى قصيدة (الأعزل العملاق) [2] فيقول :

عريتنا حين أهوى فوقك المطر ∴ وأنت فى برده بالكف تستتر

أمانتا البرد فى أحضان مدفئنا ∴ وأنت بين ثلوج القفر تنغمر

---

(١) انظر : ماصون برغم الجراح - د / عبد الناصر محمد منعم ص ٣ - ط أولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

(٢) الديوان ص ١١٩ - ١٢١

تركت دارك قسرًا وهى صارخة ∴ تجرى وراءك من حيطانها الحجر

وأى مأساة أشد على الإنسان من أن يترك داره قسرًا ؟ وليس معه ما يرد به العدو سوى كفيه ؟ وفى قصيدة (القدس) [1] يصور قسوة العدو الغاشم ، وهو يجوس خلال الديار :

فيا للقطيع بدرب الذئاب ∴ تعالت على جانبيه الدمر

يرى داره فى مهب الرياح ∴ وباب الأمان لديها انكسر

يجوس بأنحائها المعتدون ∴ فلا عاصم عندها مدجر

تسائل أعداءها رحمة ∴ ويا ويلها من لئيم ظفر

فالشاعر حريص على أن ينقل هذه الصور المأساوية ، التى ألهبت مشاعر الشعراء الإسلاميين فى عصرنا ، فعرضوها بغية أن يقف إخوانهم المسلمين على حقيقة الموقف ، ويدركوا أن عليهم واجبًا تجاه إخوانهم ، " فالطريق طويل ، والعقبة كأداء ، ولابد من التضحيات ، والأمة بحاجة إلى أصحاب العزائم المتوثبة ، ولن يكون بعد الصبر إلا الفرج " [2] .

---

(١) الديوان ص ٥٠ - ٥٢ .

(٢) ماصون برغم الجراح ص ١ .

وفى قصيدة (الأقصى) [1] يعبر عن إحساس المسلم الحر بأن يكون المسجد الأقصى فى يد اليهود ، وهذه القصيدة متنفس للشاعر ، حيث يعيش فيها مع خياله ، فيرى المسجد الأقصى وقد تشخص لديه ، فيها هو يعانقه ويستغيث به ، ويبدوان معًا ويبكيان سويًا :

فما عاد أقصى ولكن هنا ∴ وعذبه الشوق حتى حضر

وعانقنى وهو طيف الجماد ∴ فذاب الجماد وذاب البشر

جرى فى دمى نبضه المستغيث ∴ فعذبنى منه وخز الإبر

تعلق فى بختمى من أساه ∴ وغطى على الدمع حتى انفجر

بكينا سواه ، وفيض الدموع ∴ يضاعف من جمرنا ما استعر

وفى قصيدة (وامعتصماه) [2] يأسى لهذا التخاذل من الأمة عما يجرى هناك من قتل وتشريد فيقول :

فليس معتصم فى الدار ينجدكم ∴ فلم يعد فى حمى أوطانهم بطل

وان سمعت صليلاً فى مرابعنا ∴ فإننا فى رحاب الدار نقتتل

---

(١) الديوان ص ٥٦ - ٥٩

(٢) الديوان ص ٦٠ - ٦٢

أما الدول الكبرى فغض الطرف عما يجرى ، وهى التى تدعى أنها تنشر العدل :

قيل للمجرم الباغى تدلّله ∴ وعن جراح ضحايا البغى تشغل

تصح للقتل ، والتشريد تنكره ∴ تطيل فى قولها دومًا وتفعل

أما مأساة المسلمين فى البوسنة فمما يتقطع له القلب حزنًا ، ففى قصيدة (وداعًا) [1] لا يجب أن يسمع أخبارًا عنها لشدة ما سمع وهول ما حدث ، يقول :

ضاعت البوسنة منى ∴ فانتهت أذنى وعينى

لا تطيلوا فى عنائى ∴ واحبسوا الأخبار عنى

كما يرثى المسجد المنهار فى البوسنة ، الذى أصابته يد الغدر فيقول [2] :

يا أيها المسجد الملقى بحفرته ∴ لم يغن عنك دعاء كنت تسمعه

ماذا نقول إذا اشتاقت نواظرنا ∴ إلى ضياء تراءى منك مطلعه ؟

والطفلة " إبرما " البوسنية التى أخذها الإنجليز ليعالجوها لسان حالها يقول [1] :

---

(١) الديوان ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢) الديوان ص ٧٢ .

لم يسألوا جراح الطفل لا تجرح ∴ وحدثت بحديث غير مفتعل

لا تقربوه فالجرح يحتشد على ألم ∴ يهوى وينزف نارًا غير خافتة

حلوه يفضح طاغوتًا يضللنا ∴ ويحسب النار فينا غير موجعة

أما أطفال الصومال الجوعى فقد أججت أشجان شاعرنا حيث يقول :

أثارت نار أشجاني ∴ بقايا بعض إنسان

عظام غير كاسية ∴ وطيف واهن فان

وأشمال ممزقة ∴ تغطى بعض عريان

وهكذا يتجول الشاعر فى رحاب البلاد الإسلامية لينقل هذه المآسى ، محاولاً من خلالها إثارة المشاعر ، ورغبة منه فى أن يدفع الأمة إلى أداء واجبها تجاه هذه الشعوب المسلمة ، وتلك غاية من غايات الأدب الإسلامى .

(١) الديوان ص ٧٧

الفصل الثانى

المحاور الفنية فى ديوان (يا إلهى)

بعد هذا التطواف فى المحاور الموضوعية التى تناولها الشاعر فى هذا الديوان الذى تنوعت فيه التجارب بين آلام ، وآمال، وحسرة ، وأسى ، وحزن ، واستبشار ، وغير ذلك ، فى شعر واضح ، بعيد عن الغموض والتعمية ، يحمل من الخصائص الفنية ما يشير إلى مكانة الشاعر التهامى ، ومن الفكر النير الذى يدفع به أبناء الأمة إلى مزيد من الصبر والثبات ، ومن الأمل الذى يعاوده فى أن تثوب الأمة إلى رشدها فتتمسك بدينها وكتابها، وتعرف عدوها ،وتأخذ حذرها .

وقد رأينا كيف مزج الشاعر همومه الذاتية بهموم أمته انطلاقًا من رؤية إسلامية واضحة فالمسلم لا يعيش وحده، ولكنه فرد فى المجتمع الذى ينتمى إليه .

بعد هذا العرض للمحاور الموضوعية نحاول فيما يلى أن نقف على المحاور الفنية فى هذا الشعر الذى تناولته بالدراسة .

وسأتناول فى هذا الجزء (الشعر من جوانبه الفنية) فى إطار المحاور التالية :

المحور الأول : الألفاظ والتراكيب .

المحور الثانى : التصوير الفنى .

المحور الثالث : الموسيقا الشعرية .

المحور الأول

الألفاظ والتراكيب

الألفاظ فى الشعر لبنات بنائه الأولى ، فهى أداة التعبير والإبداع ، تتألف منها معانى الشعر وصوره وموسيقاه ، كما أنها أساس المفاضلة الحقيقية بين شاعر وآخر فى مدى توفيق أحدهما فى اختيار اللفظة وإخفاق صاحبه .

واللغة الشعرية " هى الشكل الذى يحمل أفكار الشاعر ومضامينه ، وتبعًا لثقافة الشاعر ، وسعة اطلاعه يتسع معجمه وتكثر ألفاظه ، ويمكنه أن يكوّن مخزونًا من الألفاظ الشعرية الموحية بحيث يمتلك مقدرة على إنشاء أبيات وقصائد تحقق لمستمعيها لذة شعورية نرى فيهم جانب الذوق الفنى الاستحابى " [1] وليست الألفاظ فى قرب معانيها أو غرابتها هى الحك على الرغم من أننا نطالب الشاعر بالوسطية فى اختيار الألفاظ [2] ، وإنما المعول عليه هو الدقة فى

---

(١) شعر محمد بن أحمد العقيلى : دراسة تحليلية - د / خالد ربيع الشافعى ص ٢٨٣ - مطبوعات نادى جازان الأدبى - السعودية ط الأول ٢٠٠٤ م

(٢) نقصد بالوسطية ألا تكون مبتذلة وألا تكون غريبة حوشية هذا المقياس هو ما استقر عليه النقد العربى القديم راجع فى ذلك الصناعتين لأبى هلال العسكرى حيث يقول " واجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً لا يتغلق

استعمال اللفظ بحيث يؤدى وظيفته فى السياق بما له من إشعاعات عاطفية ، وما يحمله من طاقة وجدانية وبناء الجملة فى الشعر يقوم على الكلمة التى يختارها الشاعر وعلى تركيب الكلمات فيها حسب علاقتها بحيث تتشكل من هذا الترتيب صياغة أدبية تنقل تجربته التى يريد إيصالها إلى المتلقى .

ولذلك كانت عناية النقاد بجانب الألفاظ والتراكيب كبيرة ، فقد بحثوا هذا الجانب بحثًا جيدًا ووجهوا الأدباء إلى ضرورة العناية بهذا الجانب .

وأهم ما يتميز به هذا الديوان الذى بين أيدينا فيما يتصل بجانب الألفاظ هو السهولة والوضوح ، فإذا راجعنا هذا الشعر وجدنا ألفاظه سهلة قريبة المعنى ، واضحة الدلالة ، ولا غرو ، فالشاعر يريد أن يخاطب بهذا الشعر العامة والخاصة من أبناء أمته ومن ثم ففهم هذه الأشعار وما تحمله من مضامين أمر يسير ، وذلك حرصًا من الشاعر على إيصال فكرته إلى كل قارئ فى أقل وقت ممكن ،وهذه الخاصية تبدو واضحة جلية من أول قصيدة فى هذا الديوان اقرأ بعض أبياتها مثلاً:

= معناه ولا يستهم مغزاه ولا يكون مكدودًا مستكرهًا ومنوعرًا متقعرًا ..." ص ٦٧ .

بكـــل الشـــوق فى قلـــبى ∴ طرقت البـــاب يـــا ربى

وفى شـــفتى ضـــراعات ∴ فى رضـــوانه حســـبى

وحســـبى أنـــك الـــرحم ∴ لقلب ذاب فى جـــنبى [1]

وهكذا ، لو قرأت القصيدة كلها لا تكاد تعثر على كلمـــة غريبة تحتاج إلى إعمال فكر فى دلالتها ، أو كلمة قلقة فى موضـــعها جاءت بها القافية أو الوزن ، كما لا تكاد تجد معنى مستغلقًا .

كما أن مبدأ السهولة والوضوح فى الألفاظ لم يدفع الشاعر إلى تكرار بعض الألفاظأو العبارات وإنما تنوعت الألفاظ تبعًا لتنـــوع التجارب الشعرية كما رأينا ، ففى قصيدته (فى ذكـــرى المولـــد) يسوق أسئلة بأداة استفهام واحدة هى (كيف) وتتـــوالى الأســـئلة لتعبر عن إحساسه بهذا التغيير الكونى الذى واكب ميلاد الرســـول الخاتم ﷺ وهذه الأسئلة تنطوى على شدة الإعجاب والتـــأثر بهـــذا التغيير يقول مخاطبًا ذكرى المولد النبوى الشريف [2] :

وقولى : كيف هلّ النـــور ∴ يحمـــل كفـــه الفجـــرا ؟

وكيف اهتز هـــذا الكـــو ∴ ن لمـــا أدرك الأمـــرا ؟

---

(١) الديوان ص ٧ .

(٢) الديوان ص ٩ .

وقولى : كيف فاض الخير ∴ يمحـــو حولـــه الشـــرا ؟

وكيـــف تـــألق الإيمـــان ∴ يطوى الغى والكفـــرا ؟

وكيف تبســـم الجلمـــود ∴ فى الصحراء واخضـــرا ؟

وكيف تـــدفق الإنســـان ∴ فى درب الهـــوى ســـيرا ؟

وكيف تســـامت الـــدنيا ∴ بـــدين ينشـــر الخـــيرا ؟

ونلاحظ أنه استخدم الأفعال الماضية التى تحكى الأحـــداث التى أشار إليها (هلّ – اهتز – فاض – تبسم – تدفق – تسامت) ، ومعجم اللفاظ الإسلامية قد أثرى هذه المقطوعة كما أثرى غيرها فى هذا الديوان فكلمات : (النور – الخير – الإيمـــان – البغـــى – الكفر) ترسم أبعاد التجربة التى يمزج فيها الشـــاعر بـــين الماضـــى والحاضر حين يقارن بين هذا الماضى بصوره المشرقة وبين ما نعيشـــه الآن من تخبط وتقهقر بسبب بعدنا عن المنـــهج ، وتتـــوالى أبيـــات القصيدة لتنقل آلام الشاعر التى يعانيها من هذا الواقع ، فيخاطـــب ذكرى المولد :

تعـــالى أيهـــا الـــذكرى ∴ فأنـــت بحالنـــا أدرى

تنـــاءى نـــورك الغـــالى ∴ فطال الليل واستشرى [1]

---

(١) الديوان ص ٩ .

وتراه يستخدم المفردة ذات الإيحاء ، فكلمة (النور) مثلا تحمل كثيرًا من الإيحاءات والدلالات التى لها أهميتها فى المضمون الشعرى كالضياء ، والهداية ، والوضوح ، وكلمة (فاض) التى لها دلالتها على الكثرة والتدفق ، وكلمة (تألق) التى تعنى زيادة فى العلو والظهور ، وكلمة (الليل) التى توحى بكثير من المعانى كالظلام ، والضلال ، والخوف إلى غير ذلك من المفردات ذات الإيحاء وكثرت فيه الألفاظ التى تدعم الاتجاه الخطابى إلا أنه لم يهبط به هذا عن الأسلوب الشعرى إلى التقريرية ، فحنينه إلى عصور الإسلام الذهبية جعله ينقل صورة لحياة السلف الصالح وغايته منها أن تكون هذه الصور نبراسًا لأمتنا ، وأن نتخذ من سلفنا الصالح قدوتنا فى العبادة ، وفى القول والعمل لنعيش كما عاشوا ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، هكذا كانت الكلمات فى قصيدة (نور الإسلام) ومنها قوله عن أوائل هذه الأمة [1] :

الحق فى يدهم فى كل ما فعلوا ∴ وفى لسانهم فى كل ما نطقوا

قد أنبتوا الحق فى أرجاء عالمهم ∴ فاشتد من حولهم فى الكون ينطلق

يطهر الأرض يجلوها يبشرها ∴ بأنها بسماء الله تلتحق

وإن من أهلها قومًا إذا انطلقوا ∴ مع الملائك ى إيمانهم سبقوا

---

(١) الديوان ص ١١ .

قد صيروا الأرض جنات مزخرفة ∴ فيها الثمار وفيها الظل والعبق

فالسلف منقادون للحق فى افعالهم وأقوالهم ، بل هم الذين غرسوا بذرة الحق فى هذا العالم ، فنمت وأينعت ، وتعبر الأفعال المضارعة بعد ذلك عن آثار هذا الحق فى العالم ، والمضارع كما هو معلوم يدل على التجدد والحدوث ، وهذا الحق يفعل فى الأرض (يطهرها - يجلوها - يبشرها - تلتحق) وقاموس الألفاظ الدينية والمعانى الإسلامية فى هذه المقطوعة لا يحتاج إلى بيان ، ويتجلى كذلك حسن اختيار الشاعر لأدوات الربط حيث آثر أداة الشرط (إذا) على (إن) فى قوله :

وأن من أهلها قومًا إذا انطلقوا

فإذا تحسن فيما هو متحق بخلاف (إن) التى تستعمل فى المشكوك فى حصوله ، وهذا يفيد قناعة الشاعر بأن هؤلاء السلف بقوة إيمانهم سبقوا الملائكة ، وتقدم (قد) على الفعل الماضى أفاد التأكيد والتحقيق فى قوله :

قد صيروا الأرض جنات مزخرفة

كما نلاحظ أنه استخدم (اليد واللسان) مفردتين ليؤكد وحدتهم فأيديهم يد واحدة وألسنتهم لسان واحد كما قال ﷺ وهم يد على ما سواهم .

وهكذا نجد الألفاظ إلى جانب ما تميزت به من السهولة والوضوح جاءت معبرة عن المعنى المراد ، فجلها من الألفاظ ذات الظلال والإيحاء ؛ لتحقق الجمال المنشود ، والأثر الفنى المطلوب ، ومن حسن اختياره للمفردة على سبيل المثال عندما يتحدث عن شراسة الأعداء يقول [1] :

من لم تمزقه الذئاب تركنه ∴ يضوى وقد حرمته من أقواته

وتأمل كلمة (تمزقه) ، وكلمة (الذئاب) ، وعندما يتحدث عن نتيجة حسن الإيمان :

لو أحسن الإيمان أرضى ربه ∴ وانساقت الدنيا إلى مرضاته

ولاحظ جناس الاشتقاق بين (أرضى – مرضاته) .

وعندما يعبر فى قصيدته (منتهى الحيرة) عن قلقه النفسى من واقعه الأليم يجسد هذا الإحساس فى تلك المفارقات التى رسمها بكلماته الموحية فيقول [2] :

تحالف الصدق فى دنياى والكذب ∴ وذوب الماء فى كفى واللهب

وتاه فكرى منى فى مراوغة ∴ حلف الحقيقة تخفى وهى تقترب

---

(١) الديوان ص ١٧ .

(٢) الديوان ص ١٧ .

(٣) الديوان ص ٨٣ .

فمنتهى الحيرة فعلاً أن يتحالف الصدق والكذب ،ويذوب الماء واللهب وبناء الفعل(ذوب) للمجهول يدل على أن قوة خفية قد ذوبت الماء واللهب فى كف الشاعر ليس فى مقدوره دفعها .

وعندما يعبر عن تمسك بعض الناس بالمظاهر ، والتخلى عن الجوهر تعينه الكلمات التى اختارها بدقة لتحمل هذه الدلالات فيقول [1] :

أهيم فى روضة تبدو مجنحة ∴ وليس فى فرعها تين ولا عنب

وعندما يعبر عن الصراع فى عصرنا الحاضر يحسن اختيار الكلمات ذات الظلال حيث يقول [2] :

أيها الإيمان صونا غابة ∴ سيطر الوحش عليها واقتدر

لا ترى الإنسان فى أغوارها ∴ غير ظل فى دجاها يستتر

ويمكن أن تتأمل كلمة (غابة) وما توحى به من معانى الوحشة ، والضياع ، والظلام ، وقسوة الحياة ، فهذه الكلمات استطاعت أن تولد فينا هذه المعانى وغيرها ، وكلمة (أغوارها) تولد فى النفس كثيرًا من الدلالات كالمخاوف ، والعمق ، والظلمة

---

(١) الديوان ص ٨٣ .

(٢) الديوان ص ٣٢ .

الشديدة وكلها لها أهميتها فى نقل المعنى المفعم بالمشاعر التى يريدها الشاعر .

وأحيانًا يبث مشاعره وهمومه فى صورة تساؤلات متعددة وفى بيت واحد ، وهى أسئلة لا ينتظر لها إجابات بل ينكر بها واقعًا مرًا ، يقول [١] :

من غير الإنسان ؟ من أودى به ؟ ∴ من شق معدنه الأصيل وبدله ؟

ماتت مشاعره فأصبح عنده ∴ أن يقتل الآلاف ليست مشكلة

وفى بناء الجملة على ما لم يسم فاعله (يقتل) ما يدل على دقة التركيب ، فهذا الذى ماتت مشاعره الإنسانية لا يهمه القاتل ، ولا السبب ، فقتل الآلاف بأية طريقة وبأى سبب أو وسيلة لا يعنى أى مشكلة بالنسبة له ، وفى هذا منتهى القسوة واللاإنسانية .

وهكذا لو تتبعنا كل الألفاظ والتراكيب لوجدنا أن الشاعر قد وفق إلى حد كبير فيها ، وأن إخفاقه لا يتعدى بضع ألفاظ وبضع تراكيب ، ومن ذلك قوله فى قصيدته (أذان بلال) وهو يتحدث عن تلك المفارقة العجيبة بين حياة التقدم والتطور الحضارى فى بلاد الغرب وبين هذا التخلف المتمثل فى العنصرية والطبقية التى تسيطر على هذه المجتمعات :

---

(١) الديوان ص ٤٤ .

مهما تألقت العلوم ∴ وأصبحت ملك اليد

فثيابهم فيها غباء ∴ الجهل لم يتبدد [١]

فكلمة (ثيابهم) لا تناسب المعنى الذى يريد الشاعر ، وكان الأوفق هنا أن تكون مكانها كلمة (فعقولهم) إذن لكانت أشد تأثيرًا فى المتلقى .

وكذلك عندما يتحدث عن شموخ هذا الدين ورفعته يقول [٢] :

وماست راية الإسلا ∴ م فى عليائها فخرا

فإن كلمة (ماست) هنا لا تناسب المقام – من وجهة نظرى – ولو جعل مكانها كلمة (تسامت) لكان التعبير أسمى ، لأن كلمة (ماس) كما فى لسان العرب تعنى تبختر واختال وهى أوفق فى وصف العروس والجمل ، ورجل مياس وجارية مياسة إذا كانا يتبختران فى مشيتهما [٣] .

---

(١) الديوان ص ٣٦ .

(٢) الديوان ص ٩ .

(٣) انظر : لسان العرب – مادة (م . ى . س) ٦ / ٢٢٤ – ط دار صادر – بيروت ١٩٩٤ م .

وكذلك عندما يتحدث عن نور الإسلام الذى أضاء جنبات الكون . يقول [١] :

يشـــق مجاهـــل الـــدنيا ∴ ويلمع فى الـــدجى بـــدرا

فاللمعان – من وجهة نظرى – لا يناسب البدر ، ولو جعل الشطرة الثانية (مضيئًا فى الدجى بدرا) لما قصر المعنى .

كما أنه جاء ببعض التراكيب التى كانت دون المســتوى ، كقوله فى أثر (أذان بلال) فى المسلمين [٢] :

والنـــاس حولـــك كلـــهم ∴ مـــن أبـــيض أو أســـود

يتجمعـــون ويهرعـــون ∴ إلى نـــداك المســـعد

فجعل الناس مكان المسلمين ، ولو قال (والمسلمون بجمعهم) لاستقام المعنى والوزن ، كما أنهم يهرعون ليجتمعوا ، ولكنه قـــدم التجمع ، وكذلك عندما يتحدث عن ضياع العدالة فى المجتمعات غير الإسلامية . يقول [٣] :

قد مال ميزان العدالة بينهم ∴ وتفاوت الأنداد والنظراء

---

(١) الديوان ص ٩ .

(٢) الديوان ص ٣٥ .

(٣) الديوان ص ٣٨ .

ولو جعل مكان (قد مال) كلمة (اختل) لأفادت المعـــنى الذى يريده ، وكان لها من التأثير فى النفس أكثر من العبارة التى جاء بها .

كما أدخل (أل) على كلمة (بعض) وهو خطـــأ شـــائع حيث يقول [١] :

البعض يقتله الشقاء وحولـــه ∴ بعض بقسوة ظلمهم سعداء

أما فيما عدا ذلك فإن شاعرنا يتميـــز بحســـن اســـتخدام الكلمات ، وحسن تركيب العبارات ، كما يتميز بوضوح العبارات ، والمزاوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية تبعًا لما تتطلبه العاطفة .

---

(١) الديوان ص ٣٨ .

التصوير الفنى

أصبح من المعلوم عند أهل الأدب أن التصوير الفنى لا يقتصر على ما يسمى بالصورة البلاغية التى تنحصر فى علوم البيان من تشبيه واستعارة وكناية ، ولكنه يتجاوز ذلك إلى أبواب أرحب ، تشمل النص بكل عناصره ، وأحسب أن إشارة الجاحظ إلى أن الشعر " ضرب من النسيج وجنس من التصوير " [1] . تدل على وعيه بهذا المفهوم الواسع للتصوير فإن الصورة فى الشعر أوسع وأعمق من أن تكون تشبيهًا أو استعارة أو كناية ، إنها " تتألف من جزئيات كثيرة من التعبيرات ، ويستعين بها الأدباء على رسم صورة كلية ، متكاملة الجوانب لما يريدون ذكره من عواطف وأفكار فى الموضوعات الأدبية المختلفة ، فهى مرتبطة بالمعانى اللغوية للألفاظ ، وجرسها الموسيقى ، ومعانيها المجازية ، وحسن تأليفها معًا ... ولا يلزم أن تكون الصورة معتمدة على ألفاظ وعبارات مجازية ، فقد تكون العبارة حقيقية الاستعمال ، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير

(١) الحيوان للجاحظ – تحقيق وشرح الأستاذ / عبد السلام هارون ٣ / ١٣٢ .

بإيحاءات ألفاظها وموسيقاها وإيقاعاتها ، وغير ذلك مما تكونه الألفاظ حين يرتبط بعضها ببعض " [1] .

وعلى هذا فالصور الأدبية وسائل فنية ينقل بها الكاتب تجاربه وأفكاره ، وبقدر ابتعاد الصورة فى الشعر عن العاطفة والوجدان بقدر بعدها عن الشعر الجيد ، حيث " تخفق الصورة أو يجانبها النجاح الفنى سواء فى وضعها المحدود أو فى السياق العام ، لأنها لم تتضمن أى كشف وجدانى جديد ... أما حين يتحقق ذلك فإنه يرتفع بالشعر إلى مستوى رفيع من الجلال والنبل " [2] .

وللصورة أهمية بالغة فى الأدب بعامة ، وفى الشعر بصفة خاصة حتى قيل : الشعر تصوير ، ولا يسمى الشاعر شاعرًا إلا بالصورة [3] ، " وتعد الصورة أهم لبنة فى القصيدة " [4] .

(١) الصور البيانية فى شعر المجددين – د / محمد الأمير محمد – " بتصرف " – بحث منشور فى حولية كلية اللغة العربية بجرجا ص ٢١٣ العدد الأول ١٩٩٦ م .

(٢) الشعر العربى المعاصر – د / عز الدين إسماعيل ص ١٢٧ " بتصرف " .

(٣) قضايا ومواقف فى التراث البلاغى – د / عبد الواحد علام ص ١٥٥ – مكتبة الشباب – القاهرة ١٩٨٣ م .

(٤) فصول فى نقد الشعر الحديث – د / على عشرى زايد ص ٤٩ – مكتبة الشباب – القاهرة ١٩٩٨ م .

ولا يخفى أن الشاعر عندما يصور موقفًا إنما يصوره من خلال رؤيته هو ، فليس ضروريًا أن يكون تصويره مطابقًا للواقع الخارجي وإنما المهم أن يكون مطابقًا للواقع النفسي لارتباطه الوثيق به ، ولذلك كان للخيال أهميته في الصورة الأدبية ، فالصورة الأدبية التي تحتوى على عنصر الخيال أقوى تأثيرًا في النفوس ، وأكثر إمتاعًا للمتلقي ، والخيال في معناه اللغوى لا يخرج عن تصور الشيء في غير صورته أو تلونه بغير ألوانه . ففي لسان العرب تخيل الشيء له : تشبه ، والخيال ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة [1] ، وقد عرفه بعض النقاد المحدثين بأنه " عملية توليد الصورة التي وظيفتها تصوير الحقائق النفسية والأدبية [2] ، ويعد الخيال أول وسائل الإبداع التي تعين على رسم الصورة وتجسيد الشعور بها [3] .

وعلى قدر إجادة الشاعر في تصويره يكون الحكم له ، ويكسب لأثره الشعرى البقاء والخلود ، بما يحكيه النص من جمال

---

(١) لسان العرب - مادة (خ ي ل) ١٠ / ٢٣٠ .

(٢) النقد الأدبي الحديث - د / محمد غنيمي هلال ص ١٥٦ - مطبعة نهضة مصر ١٩٧٧ م .

(٣) النقد الأدبي الحديث : أصوله واتجاهاته ومناهجه - د / محمد زغلول سلام ص ١١ - الأنجلو بالقاهرة ١٩٦٤ م .

وإبداع ، يستوقف كثيرًا من عقول الأدباء والمفكرين على ما يحمله من أدوات أحكمت عناصر الصورة ، وجعلتها تبرز إلى العالم الأدبي بذلك الرداء الجميل ، والمحكم في نسجه الفني [1] .

ومن خلال دراستي لشعر التهامي في هذا الديوان وجدته ذاخرًا بالصور الفنية الرائعة البديعة ، وهي صور جرت على منهج التصوير العربي القديم في بعضها ، كما أن بعضها جاء جديدًا ، واستطاع الشاعر من خلال هذه وتلك أن يوظف الصورة الفنية فيه توظيفًا فنيًا جيدًا ، ففي قصيدته (دعائي في ليلة القدر) [2] نجد كثيرًا من هذه الصور الموحية الجميلة المعبرة ، فحين يصور ضراعته يجعله قلبه قد ذاب في جنبه :

وفي شفتي ضراعات ∴ لقلب ذاب في جنبي

فأي أسلوب يجسد هذا التضرع غير هذه الصورة ؟ ! ثم إنه ليس هناك أدل على صدق تضرعه من هذه الدموع المنهمرة من مقلتيه :

---

(١) انظر : الصورة الأدبية في شعر الخنساء - د / تمام علي أحمد خلة ص ٤٤٠ - بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط - العدد العاشر ١٩٩٠م .

(٢) الديوان ص ٧ . ٨

يسيل الظبي في دمعي ∴ ليفعل صدقه ذئبي

ثم تمده لقافلة الإسلامية بصورة قرآنية ، يرمز بها إلى أعداء الحق ، الذين يقفون أمام الدعوة الإسلامية ، فيتخذ من أم جميل بنت حرب زوج أبي لهب رمزاً لأعداء الدعوة في عصرنا فيقول :

وأن يخلو رحاب الأر ∴ ض من خالة الحطب

وفي قصيدة (أيها الحجاج) [1] تكثر الصور الوحية المجسدة للمعنى ، فهو عندما يصور واقع الأمة الإسلامية الحاضر بالخرشة ، ويبث شكواه لربه - سبحانه - فهو القادر على كشف الشر ، نجده ينتقي الكلمات المصورة ، والعبارات الوحية فيقول :

يا رب حيث البلوى بساحتنا ∴ وما لنا من بني الإنسان منتصف

فقد جسد (البلوى) وهي شيء معنوي في صورة محسوسة ، فجعلها قد خيمت ، ومعلوم أن أصل التخييم الإقامة ، ومنه الخيمة سميت بذلك لأنها تكون عند النزول [2] وفي هذه الصورة دلالة على عظم الكارثة ، وفداحة الخطب .

وفي القصيدة نفسها يزيد من توضيح الصورة المحزنة المؤلمة لهذا الواقع فيقول :

---

(١) الديوان ص ٧٥ .

(٢) لسان العرب - مادة (خيم) ١٢ / ١٩٣ .

داسوا مساجدنا الشماء فاهدمت ∴ في صحنها مات قوام ومعتكف

وشردوا أهلنا في كل ناحية ∴ ما عاد في دارنا باب ولا غرف

ودنسوا عرضنا الغالي وقصدهم ∴ ألا نعيش وفي أوطاننا شرف

نصح من حولنا الدنيا وخذلنا ∴ كأن تجريدنا من ديننا هدف

وصفنا يا إله الكون مفترق ∴ لا يستجيب إلى الداعي ويأتلف

وأنت يا ربنا غوث لكلتنا ∴ نعينا لنلاقي من بنا عصفوا

ونسترد حقوقاً غاب حارسها ∴ فعاثت في الأرض ظلام ومعتسف

إنها صورة دامية حقاً ، تهز وجدان المسلم هزاً عنيفاً ، ليستيقظ من سباته ، وينهض من غفلته ، فتعود للأمة قوتها ، وتقوى عزيمتها ، حينما تستمد قوتها من القوى القادر ، عندئذ تتكسر أمامها كل قوى الشر .

وهذه المقطوعة مليئة بالصور الحية الرائعة التي أشرت إلى بعضها في الفصل الأول من مثل قوله (ما عاد في دارنا باب ولا غرف) وهي من الصور الرمزية ، كما اشتملت على المفردات ذات الإيحاء والثراء ، ولك أن تتأمل المقطوعة مرة أخرى ، فعندما يصور ما فعله الأعداء بأمتنا يقول (شردوا أهلنا) . (دنسوا عرضنا الغالي) ، (بنا عصفوا) ، وفي هذه الصورة الأخيرة تبدو شراسة فعلهم

وقوة هجمتهم ، فهم كالرياح العاصفة التى تذهب بكل شىء ، وفى تقديم الجار والمجرور ما يفيد فعلهم فينا ، فهم لم يعصفوا إلا بنا .

وعندما يصور غفلتنا وتخاذلنا فيما مضى يقول : (ونسترد حقوقًا غاب حارسها) ، وفى قصيدة (فى ذكرى المولد) [1] يصور الإسلام وقد بدد ظلمات الجاهلية بالبدر وقد لمع فى الدجى يقول :

يشق مجاهل الدنيا ∴ ويلمع فى الدجى بدرا

وإن كانت صورة تقليدية فقيرة ، والتشبيه فيها لا يكاد يفى بالغرض منه ، ولعله يلاحظ ذلك فأخذ يشير إلى هذا التغيير الذى أحدثه الإسلام فى المجتمع فى الأبيات التالية التى اشتملت على صور حية آسرة من مثل قوله :

(فاض الخير يمحو حوله الشرا)

(تألق الإيمان يطوى البغى والكفرا)

(تبسم الجلمود فى الصحراء واخضرا)

إلى غير ذلك من الصور ، وفى هذه الصورة الأخيرة إشارة إلى سماحة الإسلام التى عمت الكون كله ، وأثر الإسلام واضح فى عمارة الأرض حاضرها وباديها .

---

(١) الديوان ص ٩ .

وفى قصيدة (نور الميلاد) [1] يصور قوة إيمان السلف الصالح لهذه الأمة ، وأثر هذا الإيمان فى العالم من حولهم فيقول :

قد أنبتوا الحق فى أرجاء عالمهم ∴ فاشتد من حولهم فى الكون ينطلق

فقد جعل (الحق) غرسًا أنبته هذا السلف فاشتد واستوى على سوقه ، وفيها تصوير للمعنوى فى صورة محسوسة لترسخ فى الذهان .

وعندما يتحدث عن شراسة العدو فى قصيدته (هلّ الصيام) [2] يصوره بالذئب فيقول :

من لم تمزقه الذئاب تركنه ∴ يضوى وقد حرمتْهُ من أقواته

وحينما يصور الواقع المؤلم وقد لف المجتمع ظلمة كثيفة يقول فى قصيدة (فى نور الصيام) [3] :

(مهما طوانا الليل فى أعماقه)

والليل يوحى بكثير من المعانى المخيفة ، هذا فضلاً عن أنه يطوينا ، وفى أعماقه ، ومع هذا لا يأس ، وتلك رؤية الشاعر المسلم

---

(١) الديوان ص ١١ .

(٢) الديوان ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) الديوان ص ١٩ .

الذى يلتزم بالإسلام فكرًا ، وسلوكًا ، ومشاعر ، فيصور الأمل المنتظر ، المشرق بالإيمان فيقول :

(فالفجر منتظر على العتبات)

وفى قصيدته (منتهى الحيرة) [1] يشخص الصدق والكذب وهما معنويان فيقول :

(تحالف الصدق فى دنياى والكذب)

وهى تشير إلى هذا التناقض الغريب فى المجتمع ، والذى ترتب عليه هذا التيه ، والاضطراب فى الفكر .

ومن الصور الرمزية التى استخدمها الشاعر فى هذه القصيدة وهو يصور حيرته :

أهيم فى روضة تبدو محنحة ∴ وليس فى فرعها تين ولا عنب

فالصورة فى الشطر الثانى ليس المراد منها عدم وجود تين أو عنب ، وإنما المراد منها خلوها مما يفيد ، مع أنها فى الظاهر غير ذلك فهى روضة - كما يقول - .

وعندما يصور حال أمتنا فى فلسطين فى قصيدته (القدس) [2] يقول :

---

(١) الديوان ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) الديوان ٥٠ - ٥٢ .

فيا للقطيع بدرب الذئاب ∴ تعالت على جانبيه النذر

ويشخص ويجسد (الأقصى) فى قصيدته (الأقصى) [1] فى صورة جميلة تعبر عن إحساسه بوصفه شاعرًا مسلمًا فقد تعانقا هو والمسجد الأقصى وأخذا يبكيان معًا :

وعانقنى وهو طيف جماد ∴ فذاب الجماد وذاب البشر

جرى فى دمى نبضه المستغيث ∴ فعذبنى منه وخز الإبر

تعلق بى يحتمى من أساه ∴ وغطى على الدمع حتى انفجر

بكينا سويًا ، وفيض الدموع ∴ يضاعف من جمرنا ما استعر

ناهيك عن الصور الكلية التى أشرت إليها فى الدراسة الموضوعية للديوان .

---

(١) الديوان ٥٦ - ٥٩ .

المحور الثالث

الموسيقا الشعرية

إذا كان الشعر مؤثرًا بلغته الخاصة ، وصوره الفنية الحية فإن عنصر الموسيقا فى التجربة الشعرية له أهميته فى نقل تجربة المبدع إلى المتلقى وإمتاعه بها ، لما فى الموسيقا من قدرة على السمو بالأرواح ، والتعبير عما يعجز عنه التعبير باللفظ والجملة المركبة ، وأيضًا لأن " العنصر الموسيقى يضيف إلى الإيحاء ، ويقوى من شأن التصوير " [1]

ولا يخفى " أن الموسيقى لغة العواطف والوجدان ، ولنغماته درجات من الشدة أو الضعف ، واللين أو القوة ، والسرعة أو البطء ونحو ذلك من الصفات التى تصحبها آثار وجدانية ، وألوان عاطفية من نشاط أو فتور ، وحزن أو سرور ، وثبات أو اضطراب " [2] .

ومما هو مقرر ومعلوم أن الموسيقا الشعرية تتعدى الوزن والقافية إلى ما هو أوسع من ذلك ، وهو ما يسمى بالإيقاع الشعرى

---

(١) الظاهرة الأدبية فى شعر الخوارج - د / عبد الله محمود حسن ص ١٧٩ - مطبعة الأمانة - ط أولى ١٩٨٧ م .

(٢) الفنية [illegible] حسن ص ٢٠ - مكتبة الأنجلو

، فالمقصود بالموسيقا فى الشعر " النغم الذى تفصح عنه الكلمة ، وترددده الجملة لتكتسب به بعدًا زمانيًا فى النص ، ولا يقف ذلك عند البحر العروضى فحسب ، بل يتجاوزه إلى كل نبر صوتى قلّ أو كثر " [1] ، ويوضح الدكتور / محمد السعدى فرهود أن الشعر لا يكفى فيه الوزن فيقول : " ليس الوزن وحده كافيًا لإقامة الشعر ، وإنما هو يساعد الشاعر على تحديد الطريق أمامه ، وهو يختار الألفاظ ، ويؤلف بينهما ، ويعدل فيها ، ويقدم فيها أو يؤخر ، ويوسع لها أو يضيق بما يكشف عن تجربته . ويجلو مشاعره التى يعرضها فى شعره " [2] .

كما تشكل القافية مع الوزن الوحدة الموسيقية للقصيدة إلى جانب ارتباطها بالإيقاع الداخلى فالقافية " عدة أصوات تتكرر فى أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة ، وتكررها هذا يكون جزءًا مهمًا من الموسيقا الشعرية ، فهى بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذى يطرق الآذان فى

---

(١) النقد الأدبى الحديث - د / محمد غنيمى هلال ص ٣٥٦ .

(٢) قضايا النقد الأدبى الحديث - د / محمد السعدى فرهود ص ١٣٤ - دار الطباعة المحمدية بالأزهر -- ط الثانية ١٩٧٦ م .

فترات زمنية منظمة ، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن "[1] .

فموسيقا الشعر تكونها عدة عناصر متلاحقة مترابطة منها ما هو ظاهر يتمثل فى الوزن ، والقافية ، والتصريع ، والترصيع ، وحسن التقسيم ، والجناس الناقص ، وغير ذلك مما تبدو آثاره ظاهرة فى النص الشعرى ، ومنها ما هو خفى ويتمثل فى " الإيقاع النابع من النغمة المفردة فى الكلمة ، أو النغمة المفردة فى الكلمة ، أو النغمة المترددة من الكلمات داخل الجملة ، فهذه هى الأقدر والأحكم على ضبط الإيقاع ، وتنظيم النغم ، وإعطائه التمايز والتغاير المطلوب حسب التجربة والمعنى المبثوث داخلها "[2] .

ومن خلال دراستى لديوان (يا إلهى) تبين لى أن الشاعر استطاع أن يستخدم الموسيقا الشعرية بقسميها الظاهر والخفى استخدامًا حسنًا .

---

(١) موسيقا الشعر - د / إبراهيم أنيس ص ٢٤٢ - مطبعة الأنجلو - ط الثالثة ١٩٦٥ م .

(٢) الظاهرة الأدبية فى شعر الخوارج ص ١٧٨ .

أما من حيث ما يتصل بالوزن والقافية فإن الشاعر استطاع التجديد أو موجة الحداثة ، وإنما سار فى ركب القدماء فآثر أن ينظم على بحور الشعر المتوارثة من لدن الخليل بن أحمد .

وربما عمد إلى ذلك ليبقى على أصالة الشعر ، حيث إن كثيرًا من دعاة التجديد والحداثة قد بالغوا فيها إلى حد الإفراط المرفوض .

ومن خلال دراستى لهذا الديوان وجدت (التهامى) قد نظم فى بحور عدة هى : الطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ، والرمل ، والمتقارب ، وهى بحور شائعة فى الشعر العربى ، بل إن الطويل والبسيط والكامل من البحور التى كثر دورانها فى الشعر القديم .

ويلاحظ أن الشاعر فى ديوانه هذا قد نظم على البحور الطويلة : كالطويل والبسيط ، كما نظم على البحور القصيرة كالكامل ، والوافر ، والرمل ، والمتقارب ، كما نظم على مجزوء بعض البحور كالوافر ، والرمل ، والكامل .

أما بحر الطويل فلم ينظم فيه إلا قصيدة (الإيمان والحق) والتى نقرأ منها قوله[1] :

على نفحة الإيمان تندى المشاعر ∴ وترتاح آلام ، ويسكن خاطر

---

(١) الديوان ص ٤١ .

ول ومضة للروح بنفشع الدجى ∴ وتطوى أمام المدلجين الدياجر

ومهما تلظى فى دجى الليل مؤمن ∴ فلابد لليل المجنح آخر

ومن القصائد التى جاءت على وزن بحر البسيط قصيدة (أيها الحجاج) ، وقصيدة (نور الميلاد) ، وقصيدة (منبى الحيرة) ، وقصيدة (وا معتصماه) ، وقصيدة (الأعزل العملاق) .

نقرأ قوله فى قصيدة (أيها الحجاج) [1] :

يا رب حيث الثرى يساحتنا ∴ وما لنا من بنى الإنسان منتصف

ناديا صاحبة الشهباء فالتمست ∴ فى صحبها مات قوام ومعتكف

ومن القصائد التى جاءت على وزن بحر الكامل قصيدة (شريعة وشريعة) ، وقصيدة (هل الصيام) ، وقصيدة (فى نور الشهداء) ، وقصيدة (العام الجديد وحوار مع الزمن) ، وقصيدة (أبى الصمود) ، نقرأ من قصيدة (شريعة وشريعة) قوله [2] :

قد صاغها الرحمن فى غيابه ∴ شاءت أرض لها وسماء

اختطت لكل النفس نور حياتهم ∴ إذا منارات الحياة ضياء

---

(١) الديوان ص ٧٥

(٢) الديوان ص ٣٧

كما جاءت عدة قصائد على وزن بحر الوافر التام والمجزوء ، هذا البحر المعروف بخفة الإيقاع وسرعته ، ولذا حسن أن يستخدمه شاعرنا (التهامى) فى قصائد الدعاء والتضرع ، فعندما نقرأ قوله فى قصيدة (دعائى فى ليلة القدر) [1] :

وحسبى أنك الرحمن فى رضوانه حسبى

تجيب ضراعة المحتاج عند الموقف الصعب

وتهدى خطوة الحيران إن ضلت عن الركب

نحس بهذا النغم الخفيف الذى يعين على حفظ مثل هذه القصيدة ، كما نحس بصدق عاطفة الشاعر فهو فى مقام التضرع والرجاء ، فلا تصنع ولا افتعال ، ولا تكلف فى اختيار الوزن ، كما أن الموقف يقتضى السرعة التى ناسبتها هذه التفعيلات الأربع ، مع أن بحر الوافر حتى فى تمامه يكون خفيف الإيقاع . فكيف إذا كان مجزوءًا ؟ وعلى وزن الوافر التام جاءت قصيدة (ماذا هناك) ، وعلى وزن بحر الرمل نظم الشاعر قصائد عدة منها : (إلى أين) ، و (الهجرة ومعركة التحول) ، و (وداعًا) ، نقرأ من قصيدة (إلى أين) قوله [2] :

---

(١) الديوان ص ٧

(٢) الديوان ص ٨١

أيها الإيمـــان صـــرنا غابـــة ∴ سيطر الوحش عليها واقتدر

لا ترى الإنسان فى أغوارهـــا ∴ غير ظل فى دجاها يســـتتر

وعلى وزن بحر المتقارب جاءت قصيدة (القدس) ، وقصيدة (الأقصى) ، نقرأ من الأخيرة قوله [1] :

تعلق بى يحتمـــى مـــن أســـاه ∴ وغطى على الدمع حتى الفجر

بكينا سويًا ، وفيض الـــدموع ∴ يضاعف من جمرنا ما اســـتعر

ومن هذا العرض للأوزان التى اســـتخدمها (التـــهامى) فى ديوانه (يا إلهى) يتضح لنا أنه لم يعمد إلى تجديـــد فى الأوزان أو فى الشكل الموسيقى الخارجى .

كما يلاحظ أن الشاعر لم يعمد إلى تجديد فيما يتصل بالقوافى فقد بنى قصائده على وحدة الوزن والقافية ، ونظم قوافيه على كثير من حروف الهجاء ، كما جاءت بعض القوافى عنده مطلقة ، وجـــاء بعضها مقيدًا مما يدل على تمكنه من فنه الشعرى ، ولو طالعت هذه القوافى لا تجد فيها كلمة قلقة جاء بها ليتم له البيت ، كما جـــاءت

---

(١) الديوان ص ٥٦ .

كثير من القصائد فى هذا الديوان مصرعة [1] لتزيد من قوة الموسيقا الخارجية فى النص .

أما عن الموسيقا الداخلية فإن كانت عناصرها الظاهرة قليلة فى هذا الديوان إلى حد ما فلم تظهر إلا فى جناس ، أو طبـــاق ، أو تكرار لكلمة أو عبارة ، كما رأيناه عندما جانس بين أرضى ومرضاته فى قوله [2] :

لو أحسن الإيمان أرضى ربه ∴ وانساقت الدنيا إلى مرضاته

ومثل الطباق فى قوله [3] :

والنـــاس حولـــك كلـــهم ∴ مـــن أبـــيض أو أســـود

وفى قوله [4] :

قد صاغها الرحمن فى عليائـــه ∴ فتألقت أرض بها وسمـــاء

فبين أبيض وأسود ، وبين أرض وسماء طباق .

ومن تكرار الكلمة قوله [5] :

---

(١) التصريع : تشابه تفعيلة العروض مع تفعيلة الضرب .

(٢) الديوان ص ١٧ .

(٣) الديوان ص ٣٥ .

(٤) الديوان ص ٣٧ .

(٥) الديوان ص ٩ .

وقولى : كيف فاض الحيـ ∴ ـر يمحو حوله الشـرا ؟

وكيـف تـألق الإيمـا ∴ ن يطوى البغى والكفرا ؟

وكيف تبـن الجلمـو ∴ د فى الصحراء واخضرا ؟

فتكرار أداة الاستفهام (كيف) أفى على موسيقا الأبيـات نغمًا واضحًا . كما أن للطباق بين الخير والشر ، وبين الإيمان والكفر أثره فى الموسيقا أيضًا ومن تكرار العبارة قوله [1] :

تعـالى أيهـا الـذكرى ∴ فأنـت بحالنـا أدرى

.....

.....

تعـالى أيهـا الـذكرى ∴ وطـوفى مـرة أخـرى

ولاشك أن لهذا اللون من الموسيقا الشعرية أثره فى المتلقى إلى جانب الأثر المتحقق من الوزن والقافية ، خاصة وأن هذه العناصـر مبعثها مشاعر الشاعر وانفعالاته وحالته النفسية ، فتكـرار هـذه العبارة (تعالى أيها الذكرى) له أثره فى التعبير عن حالـة الشـاعر الوجدانية ، فقد اشتملت على نداء ، وفى النداء يرتفع الصوت كما أن الحروف المكونة لهذه الجملة تساعد على رفع الصوت إلى جانب

---

(١) السابق : الصحيفة نفسها .

انتهائها بالألف المقصورة التى يفتح معها الفم . كل هذا يناسب حالة الشاعر وموقفه .

أما عن الموسيقا الخفية والمتمثلة فى ملائمة الكلمات بحروفها للفكر والعاطفة وما تبعثه من أثر فى المتلقى فكثيرة واضحة فى هـذا الديوان ، ولك أن تتأمل حروف المد فى تلك القصائد التى يعبر فيها الشاعر عن قلقه النفسى أو فى ضراعته ودعائه ، أو فى حزنه لما يراه من واقع أليم ، فعلى سبيل المثال عندما تقرأ ضراعته [1] :

ويا عونى علـى الإنسـا ∴ ن والإنسـان يغـدر بى

تجد كل كلمة فى هذا البيت قد اشتملت على حرف مد ما عدا كلمتى عونى ، ويغدر ، وكأنه يضرع بهذا البيت بهدوء ويقـف على كل كلمة فيه ، ونقرأ قوله معبرًا عن قلقه النفسى :

تضيع منى وفى كفىَّ قشرتها ∴ أما اللباب وما فيه فيستلب

فنشعر من خلال هذه الكلمات التى اشتملت على حـروف المد بالعجز والضعف الذى يحس به الشاعر .

وهكذا ، يحدث التأثير فى نفس المتلقى من خـلال حسـن اختيار الشاعر لكلماته المعبرة عن حالته النفسية والتى لها أثرهـا فى موسيقا الشعر الظاهرة والخفية .

---

(١) الديوان ص ٧ .

الخاتمة

بعد هذا العرض لديوان (يا إلهى) للشاعر / محمد التهامى وهذه الدراسة التى كشفت لنا عن جوانب رؤية الشاعر الإسلامية من خلال المحاور الموضوعية التى تناولها الشاعر ، ومن خلال المحاور الفنية التى تميز بها الديوان يطيب لى أن أسجل خلاصة موجزة لهذه الدراسة تتمثل فيما يلى :

١ - شمولية الأدب الإسلامى وسعة آفاقه ، فموضوعاته لا حصر لها وكل ما فى الكون والنفس البشرية والحياة صالح لأن يتناوله الأديب المسلم .

٢ - الأدب الإسلامى أدب هادف انطلاقا من أن أفعال المسلم وأقواله منزهة عن العبث .

٣ - ضرورة التعبير عن كل ما يؤثر فى نفس الأديب من مشاهد وما يسمعه من مآس ، فهو عضو فى الجماعة المسلمة يسعى لإصلاح المجتمع .

٤ - ديوان (يا إلهى) لبنة متينة فى بناء صرح الأدب الإسلامى المعاصر بما يتميز به من موضوعات حية تمس قضايا الأمة الإسلامية ، وتشحذ هممم المسلمين إلى الإصلاح والتغيير وتدفعهم لأن يتمسكوا بما تمسك

بما تمسك به السلف الصالح حتى نتغلب على ما يعترضنا من عقبات .

٥ - تنوعت التجارب الإسلامية فى هذا الديوان وإن غلبت عليه مسحة الأسى والحزن لما يراه الشاعر فى واقعنا من ضعف وعجز ، وبعد عن المنهج القويم .

٦ - تميز الديوان كل الديوان بسلاسة الألفاظ ووضوح معانيها وحسن اختيار الشاعر للكلمة المعبرة الآسرة ، والمفردة الثرية ذات الإيحاء ، كما تميز بجودة التراكيب والمزاوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية حسبما يقتضى الحال والمقام .

٧ - تميز ديوان (يا إلهى) بدقة التصوير الفنى وإن غلبت عليه الصورة البلاغية القديمة فإننا لمسنا فيه تصويرات رائعة لها من المعانى والدلالات ما يخدم غرض الشاعر ويثير مشاعر المتلقى .

٨ - نظم الشاعر ديوانه على بحور الشعر المتوارثة فلم يجدد فى الوزن ولا فى القافية ولا فى شكل القصيدة ، وأحسب أنه تعمد ذلك لأنه مؤمن بالأصالة ، ولا يرضى لنفسه أن يركب موجة التجديد ، وبخاصة وهو يتناول موضوعات معاصرة ليقول : إننى شاعر متميز بالأصالة والمعاصرة .